من إصدارات شبكة نور الإسلام www.islamlight.net (١)

توضيح المقصود في نظم ابن أبي داود

وهو شرحٌ لحائيَّةِ أَبِي بَكْرٍ عَبْدِاللهِ بنِ أبي داودَ السجستانيِّ
رحمه الله تعالى

لفضيلة الشيخ

عبد الرحمن بن ناصر البراك

أعد أصله القسم العلمي بشبكة نور الإسلام
راجعه وصوبه بالقراءة على الشيخ
إبراهيم بن عبدالله الأزرق

الطبعة الأولى
١٤٢٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

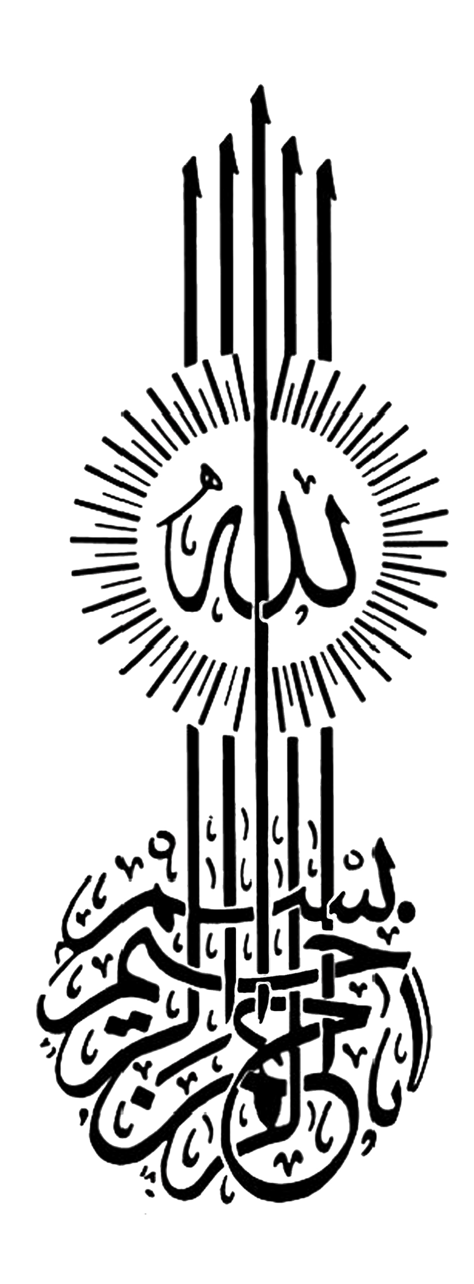
الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله أما بعد

فقد أذنت للإخوة في مؤسسة نور الإسلام بإعداد وإخراج شرحي على حائية الإمام ابن أبي داود رحمه الله والذي ألقيته في الدورة العلمية التي أقيمت في مسجد شيخ الإسلام ابن تيمية في الرياض في عام ١٤٢٣هـ وقد راجعه وقرأه عليّ الشيخ إبراهيم الأزرق فجزاهم الله خيراً وبارك في جهودهم ونفع بهم.

أملاه

عبد الرحمن بن ناصر البراك





الله
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدِّمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهدِ اللهُ فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أما بعد:

فهذا شرح على منظومة أبي بكر بن أبي داود السجستاني رحمه الله لشيخنا عبدالرحمن بن ناصر البراك –حفظه الله– ألقاه فضيلته في الدورات الصيفية التي يقيمها جامع شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بحي سلطانة، وكان ذلك عام ١٤٢٣هـ، ثم قامت إدارة الجامع بجهد مشكور ففرغت الشرح وجعلته متاحاً في موقعهم على شبكة المعلومات العالمية، فجزاهم الله خيراً، غير أنه وقع في المادة بعض الغلط إما لاشتباه الحروف في التسجيل المسموع أو غير ذلك، فناسب أن يعرض الشرح على الشيخ، من أجل تصويبه وكذا إخراجه في هيئة تناسب الكتب، فإن مقام الارتجال والإلقاء، يسوغ فيه ما قد لايناسب الكتاب. وجملة عملنا في المادة ما يلي:

١- مراجعة النص، واستدراك ما وقع فيه من غلط.

٢- حذف ما تكرر ونحو ذلك مما يليق بالخطاب ولا يناسب الكتاب.

٣- عزو الآيات.

٤- ضبط نصوص الأحاديث وعزوها باختصار، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفي بالإحالة المختصرة إلى موضعه، وإن كان في غيرهما اقتصر في الغالب على الكتب الستة، مع ذكر كلام بعض أهل الشأن في صحة الحديث أوضعفه دون استقصاء.

٥- وضع عناوين لمباحث الكتاب بين قوسين.

٦- ضبط النصوص المنقولة، ووضع بعض التعليقات المشتملة على توثيق أو توضيح أو ترجمة واقتصر على نبذ يسيرة لتراجم غير مشهورة.

٧- وضع ثلاثِ مقدمات تعرف أولاها بما صنع، وثانيتها بالمؤلف، والثالثة بالنظم.

٨- شَكْلُ النظم حتى تسهل قراءته قراءة صحيحة، وإضافة القصيدة مشكولة في أول الكتاب.

٩- إضافة ثبت بأهم مصادر العمل، وفهرس بموضوعات الشرح.

١٠- عرض ذلك على الشيخ مع إثبات فوائده وتعليقاته وإضافاته.

وفي الختام نحمد الله ﷻ أن يسر إتمام خدمة هذا الشرح وإخراجه لطلاب العلم مراجعاً محرراً، والله نسأل أن ينفعنا والقارئ به، وأن يهدينا لحسن الاعتقاد فيه سبحانه، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التعريف بابن أبي داود[1]:

أولاً: اسمه، وكنيته، ونسبته، ومولده:

هو أبوبكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي المعروف بابن أبي داود

وأبوه: هو سليمان بن الأشعث صاحب كتاب السنن أحد الكتب الستة.

ولد ابن أبي داود بسجستان سنه(٢٣٠هـ).

ثانياً: رحلته العلمية ومرتبته:

رحل به والده من سجستان فطوف به شرقاً وغرباً وأسمعه من علماء ذلك الوقت، سمع بخراسان والجبال وأصبهان وفارس والبصرة وبغداد والكوفة والمدينة ومكة والشام ومصر والجزيرة والثغور وشاركه في شيوخه بمصر والشام وغيرهما، واستقر وتوفي ببغداد. وكان فاهماً عالماً حافظاً ثقةً كبيراً مأموناً، إمامَ أهلِ العراق من كبار حفاظ الحديث، وعَمِي في آخر عمره.

قال أبوعبد الرحمن السلمي: سألت الدارقطني عن أبي بكر بن أبي داود فقال: ثقة.

---

(١) انظر طبقات الحنابلة (٢/ ٥١)، وتاريخ مدينة دمشق (٢٩/ ٧٧)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٧٦٧)، ولسان الميزان (٣/ ٢٩٣).

وقد أورده ابن عدي في الكامل ثم قال: «وأبوبكر بن أبي داود لولا شرطنا أول الكتاب أن كل من تكلم عنه متكلم ذكرته ما ذكرته»[1].

ثالثاً: من مصنفاته وآثاره العلمية:

١- كتاب المصاحف: (ط).

٢- كتاب المسند.

٣- كتاب السنن.

٤ – كتاب التفسير.

٥- كتاب القراءات.

٦- كتاب الناسخ والمنسوخ.

٧- ومن آثاره: القصيدة الحائية في العقيدة (ط).

رابعاً: وفاته.

توفي ابن أبي داود ببغداد، سنة ست عشرة وثلاثمائة (٣١٦ هـ)، وخلف ثمانية أولاد رحمه الله تعالى.

(١) الكامل في الضعفاء (٤/ ٢٦٦)، قارنه بلسان الميزان (٣/ ٢٩٣)، وقد تُحدِّثَ فيه بجرح غير مفسر، ربما كان سببه ما تُقُوِّل عليه حتى رمي لأجله بالنصب وكاد أن يؤخذ به، وقد قال رحمه الله: «كل الناس في حِلٍّ إلاّ من رماني ببغض علي بن أبي طالب رضي الله عنه» [لسان الميزان ٣/ ٢٩٥]، ولعل عذر من خاصمه من العلماء، روايته خطأً أحاديث لم تثبت تُوهِم ما تَوَهَّمُوه، وهو إنما حدث بما نمى إليه [انظر تذكرة الحفاظ (٢/ ٧٧١)]، فرحمة الله عليهم جميعاً.

التعريف بالمنظومة:

هذه المنظومة المشهورة بالحائية أو منظومة ابن أبي داود، لعلها إن لم تكن أول نظم في العقيدة فلا شك أنَّها من أول ما نظم في هذا الصدد، فإنَّ أهل العلم لما قامت حركة التأليف وحركة الجهاد باللسان والرد على المبتدعين ألفوا في ذلك المؤلفات الكثيرة، ومعظمها يُعنى بجمع الأدلة منثورة، وقليل منهم من نظم مؤلفه شعراً، ثم توسع النظم توسعاً كثيراً حتى إن بعض كتب الفقه نُظِمت في آلاف الأبيات، وكذا الشأن في العقيدة، ولعل أطول نظم في العقيدة القصيدة النونية المعروفة بـ «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، للإمام ابن القيم رحمه الله، وهي تقرب من ستة آلاف بيت ضمنها عقيدة أهل السنة والجماعة.

وهذه المنظومة التي نحن بصددها قليلة الأبيات، أكثر ما وجد منها أربعون بيتاً تقريباً[1]، ولكنها تضمنت تأصيلاً لاعتقاد أهل السنة، مع بيان بعض أهم المسائل، فقد صدَّر الناظم رحمه الله قصيدته بوصايا عامة، ثم نص على جملة من مسائل الاعتقاد.

---

(١) اختلفت الروايات والنسخ والطبعات في عدد أبيات المنظومة الحائية فقيل: تقع في (٣٣) بيتاً، وهذا عدد أبياتها في أكثر المصادر، وقيل في (٣٦) بيتاً، وقد ذكر العلامة السَّفَارِيني في شرحه للمنظومة (٢/ ١٠٥): أن ابن البناء الحنبلي زاد عليها ثلاثة أبيات. وبعضهم سردها في (٤٠) بيتاً كابن شاهين في شرح السنة ص(٣٥٣)، وعليه مشى شيخنا عبدالرحمن ابن ناصر البراك حفظه الله تعالى، وقد ذكر بعضهم أن هذه الأبيات الزائدة من بعض الرواة.

نص الحائية المشروح مضبوطاً:

قال أبوبكرٍ عبدُالله بنُ سليمانَ بنِ داودَ السَّجْزِيُّ[١] رَحِمَهُ اللهُ:

١- تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ واتَّبِعِ الهُدَى ... ولا تَكُ بِدْعِيّاً لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

٢- ودِنْ بِكِتَابِ اللهِ والسُّنَنِ التي ... أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللهِ تَنْجُ وتَرْبَحُ

٣- وقُلْ غيرُ مخلوقٍ كلامُ مَلِيكِنَا ... بِذَلِكَ دانَ الأتقِيَاءُ وأَفْصَحُوا

٤- ولا تَكُ في القرآنِ بالوقْفِ قائلاً ... كما قالَ أتباعٌ لجهمٍ وأسْجَحُوا

٥- ولا تَقُلِ القُرْآنُ خَلقٌ قُرَانُه[٢] ... فإنَّ كلامَ اللهِ باللَّفْظِ يُوضَحُ

٦- وقلْ يتجلَّى اللهُ للخَلقِ جَهرَةً ... كما البدرِ[٣] لا يَخفَى وربُّكَ أوضَحُ

٧- وليسَ بمولُودٍ وليس بوالدٍ ... وليس له شِبْهٌ تعالى المُسَبَّحُ

٨- وقد يُنكرُ الجهمِيُّ هذا وعندَنَا ... بمِصْدَاقِ ما قُلْنَا حديثٌ مُصَرِّحُ

٩- رواه جريرٌ عَنْ مَقَالِ محمدٍ ... فقلْ مِثْلَما قَد قَال في ذاكَ تَنْجَحُ

١٠- وقد يُنكر الجهميُّ أيضاً يَمِينَه ... وكِلْتَا يَدَيهِ بالفواضِلِ تَنْفَحُ

١١- وقُل ينزِلُ الجبَّارُ في كلِّ ليلةٍ ... بلا كيفَ جلَّ الواحِدُ المُتَمَدِّحُ

١٢- إلى طَبَقِ الدُّنيا يَمُنُّ بفضلِه ... فتُفْرَجُ أبوابُ السماءِ وتُفْتَحُ

---

(١) بكسر المهملة وفتحها.

(٢) وقع في بعض المصادر: (خَلْقُ قُرَّائِه)، و(خَلقٌ قراءةً).

(٣) وقع في بعض المصادر: (البدرُ)، والأظهر ما أُثبت.

١٣- يقول ألا مستغفرٌ يَلْقَ غافراً ومُستمنِحٌ خيراً ورزقاً فيُمْنَحُ

١٤- روى ذاكَ قومٌ لا يُردُّ حديثُهمْ أَلا خَابَ قومٌ كذَّبُوهمْ وقُبِّحُوا

١٥- وقُلْ إنَّ خيرَ النَّاسِ بَعْدَ محمَّدٍ وزِيرَاه قُدْماً ثُمَّ عُثمانُ الأرْجَحُ[1]

١٦- ورابعُهمْ خيرُ البَرِيَّةِ بَعْدَهُمْ عَلِيٌّ حَلِيفُ الخَيْرِ بالخيرِ منْجِحُ

١٧- وإنَّهمُ والرَّهْطَ[2] لا رَيْبَ فيهمُ على نُجُبِ الفِرْدَوسِ بالخُلْدِ تَسْرَحُ

١٨- سعيدٌ وسعدٌ وابنُ عوفٍ وطَلْحَةٌ وعامرُ فِهْرٍ والزُّبيرُ المُمَدَّحُ

١٩- وسِبْطَيْ رسولِ اللهِ وابنيْ خدِيجةٍ وفاطمةٌ[3] ذاتَ النقاءِ تَبَحْبَحُ

٢٠- وعائشُ أُمُّ المُؤمِنين وخَالُنا معاويةٌ أَكْرِمْ به ثُمَّ أَمْنَحِ[4]

٢١- وأنْصَارُه والهَاجِرُون دِيارَهم بنُصْرَتِهم عن كَيَّةِ النَّارِ زُحْزِحُوا

٢٢- ومِنْ بَعدِهم فالتَّابعونَ لحُسْنِ ما حَذَوْ حَذْوَهُم قَولاً وفِعْلاً فأفلَحُوا

٢٣- ومالِكُ والثَّورِيُّ ثُمَّ أَخُوهُمُ أبوعَمْرِو الأوْزَاعِيُّ ذَاكَ المُسبِّحُ

٢٤- ومِنْ بَعدِهمْ فالشَّافِعيُّ وأحمدٌ إمامَا هُدىً من يتبعِ الحقَّ يَنْصَحُ

---

(١)وقع في بعض المصادر: أرجح.

(٢)وقع في بعض المصادر: للرهطُ، ووجَّه الشيخ عبدالرحمن البراك المثبت، وهو كذلك في بعض النسخ الخطية، وروي غير ذلك، وانظر شرح الشيخ للبيت ص(٩٠).

(٣) وقع في بعض المصادر: فاطمةٍ، والمعنى وابني فاطمة، وفيه تكرار، وعلى المثبت وأمدح فاطمة، والصرف للضرورة.

(٤) بفتح المعجمة أو كسرها، على ما قرر الشيخ انظر ص(١٠٨) من هذا الكتاب.

٢٥- أولئك قومٌ قَدْ عَفَا اللهُ عنهمُ (.......)[1] فأحبِبْهم فإنَّكَ تَفْرَحُ

٢٦- وقُلْ خيرَ قولٍ في الصحابةِ كُلِّهم ولا تَكُ طعَّاناً تَعيبُ وتَجْرحُ

٢٧- فقد نَطَقَ الوحيُ المُبِينُ بفضلِهِمْ وفي الفَتْحِ آيٌ للصَّحابةِ تَمْدحُ

٢٨- وبالقَدَرِ المَقْدُورِ أيقِنْ فإنه دِعامَةُ عَقْدِ الدِّينِ والدِّينُ أفْيَحُ

٢٩- ولا تُنْكِرَنْ جَهْلاً نَكِيراً ومُنْكَراً ولا الحَوضَ والمِيزَانَ إنَّكَ تُنْصَحُ

٣٠- وقل يُخرِجُ اللهُ العظيمُ بفضلِهِ مِنَ النَّارِ أَجْسَاداً مِنَ الفَحْمِ تُطْرَحُ

٣١- على النَّهْرِ في الفِرْدَوسِ تَحْيَا بمائِهِ كحِبَّةِ حَمْلِ السَّيْلِ إذ جَاءَ يَطْفَحُ

٣٢- وإنَّ رسولَ اللهِ للخَلْقِ شَافِعٌ وقُلْ في عَذَابِ القبرِ حَقٌّ مُوَضَّحُ

٣٣- ولا تُكْفِرَنْ أهلَ الصَّلاةِ وإن عَصَوا فكُلُّهمُ يَعصِي وذو العَرْشِ يَصْفَحُ

٣٤- ولا تعتَقِدْ رَأيَ الخَوارِجِ إنَّه مقالٌ لمن يَهْواه يُرْدِي ويَفْضَحُ

٣٥- ولا تَكُ مُرجِيّاً لَعُوباً بِدِينِه ألا إنَّما المُرْجِيُّ في الدينِ يَمْزَحُ

٣٦- وقلْ إنَّما الإيمانُ قولٌ ونيَّةٌ وفِعلٌ على قَولِ النَّبيِّ مُصَرَّحُ

٣٧- وينْقُصُ طَوراً بالمعاصي وتَارةً بِطَاعَتِه يَنْمِي وفي الوزنِ يَرْجَحُ

٣٨- ودعْ عَنْكَ آراءَ الرِّجَالِ وقولَهمْ فَقَولُ رَسُولِ اللهِ أَزْكَى وأَشْرَحُ

---

(١) في البيت انكسار، ولا يستقيم بغير إقحام مناسب، وانظر ص(١١٤).

٣٩- **ولا تَـكُ مِـنْ قَـومٍ تَلَهَّـوا بِـدِيْنِهِمْ فَـتَطْعَنَ[1] في أهـلِ الحـديثِ وتقـدحُ**

٤٠- **إذاما اعْتَقَدتَ الدَّهْرَ ياصَاحِ هذِهِ فأنْـتَ عـلى خَـيْرٍ تَبِيـتُ وتُـصْبِحُ**

قال أبوبكرِ بنُ أبي داودَ: هذا قولي، وقول أبي، وقولُ أحمدَ بنِ حنبـلٍ، وقولُ من أدركنا من أهلِ العلمِ، ومن لم نُدرِك ممّن بلَغَنا عنه، فمن قال غيرَ هذا فقد كذب.

---

(١)وقع في بعض المصادر: فتطعنُ، وانظر ص(١٧٠).

[الوصية بالتمسك بالكتاب الله تعالى]

١- تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللهِ واتَّبِعِ الهُدَى ولا تَكُ بِدعِيًّاً لَعَلَّكَ تُفْلِحُ

[الشرح]:

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه أما بعد، فقد بدأ الناظم هذا المعتقد بوصية جامعة، فذكر في هذا البيت أربعة أمور؛ ثلاث وصايا، والرابع ذِكْرُ العاقبة:

[الوصية الأولى: الحث على التمسُّك بكتاب الله].

قال: (**تمسَّك بحبل الله**) أي: اعتصم بحبل الله، واشدد يديك به، والتعبير بالتمسُّك مناسب لذكر الحبل، والحبل المراد به القرآن أو دين الإسلام، والله تعالى قد أطلق ذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، والقرآن سمي حبلاً، لأنَّ الحبل هو السبب الذي يُتعلق به حساً، ويُتَمسَّك به طلباً للنجاة من الوقوع في الهاوية، فإطلاق الحبل على القرآن إطلاق معنوي، فكتاب الله ودين الله هو حبله، وهذا عند أهل اللغة من نوع المجاز -على القول بالمجاز وهو المشهور- وفيه تشبيه للإسلام والقرآن بالحبل، فيكون من قبيل المجاز الذي علاقته المشابهة، وهو الاستعارة.

وقوله: (**تمسَّك**) فيه تأكيد لهذا التشبيه، وقد قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، فذكر الله التمسُّك، والتمسُّك بحبل الله هو الاستقامة على دين الله، وعدم الإعراض عنه.

فهذه وصية جامعة عامة، في كل أمر من الأمور (**تمسَّك بحبل الله**)؛ في مسائل الاعتقاد، وفي أحوال القلوب، وفي أعمال الجوارح، وفي جميع الأحوال والأزمان والأماكن تمسَّك بحبل الله.

[الوصية الثانية: الحث على اتباع الهدى].

قال: (**واتَّبع الهدى**)، واتِّباع الهدى يكون بمعرفته والعمل به، والهدى: هو ما أنزله الله تعالى على رُسُلِه، وأعظَمُه وأهمُّه -وهو الذي فرضه الله علينا- اتِّباع الهدى الذي جاء به محمد ﷺ، قال الله تعالى عن هذا الهدى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ [التوبة: ٣٣].

ومنذ أهبط الله تعالى آدم عليه السلام وهو ينزل على عباده الهدى الذي يهتدون به، وضمن لمن اتبعه النَّجاة من الضَّلال والشقاء، كما قال الله تعالى: ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ ﴾ [طه].

فقوله تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ ﴾ عام، فالله يبين طريق النَّجاة للبشرية من أولها منذ أهبط آدم عليه السلام.

فكل الرسل جاؤوا بالهدى من عند الله، وقد جاؤوا بالدعوة إلى التوحيد والأعمال الصالحة، والنهي عن الشرك وعن القبائح، فهذا هو دين الله الذي بعث به الرسل من أولهم إلى آخرهم، وأكمله وأعظمه ما بعث به خاتم النبيين وسيد ولد آدم نبينا محمداً ﷺ.

واتباع الهدى هو سبيل السعادة، وبه يحصل الاهتداء، فمن اتَّبع هدى الله فهو من المهتدين، ومن اهتدى كان مهتدياً لنفسه، قال تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾ [الإسراء:١٥].

[الفرق بين دلالة: تمسك بحبل الله، واتبع الهدى].

واتِّباع الهدى والتمسُّك بحبل الله مؤداهما واحد، لكن كل لفظة لها دلالة، وهذا كثير، فالشيء الواحد قد تكون له أسماء متعددة، والمسمى واحد، لكن لكل واحد من تلك الأسماء دلالات. كما في أسماء الرسول ﷺ، وأسماء القرآن، بل وأسماء الرب سبحانه وتعالى.

فالتمسُّك بحبل الله يتضمن اتِّباع الهدى، واتِّباع الهدى يتضمن التمسُّك بحبل الله، لكن اتِّباع الهدى فيه معنى النَّجاة من الضَّلال، والتمسُّك بالحبل يتضمن النَّجاة من الهلاك، وكل إنسان أحوج ما يكون إلى هذين الأمرين: إلى الهدى الذي يعصم من الضَّلال، وإلى النَّجاة التي بها الفلاح والعصمة من الشقاء، كما قال الله تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾﴾ [طه]، فتكفل الله لمن اتبع

هداه بأن لا يضل ولا يشقى؛ لا يضل في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يشقى في الدنيا ولا في الآخرة.

فهناك تلازم بين التمسُّك بحبل الله واتِّباع الهدى، فكل منهما يستلزم الآخر، لكن كل منهما له دلالة، فمن تمسَّك بحبل الله نجا من الهلكة، كما ينجو مِن السقوط في الهاوية مَن تمسَّك بالحبل الحسِّي، واتِّباع الهدى يوصل إلى المطلوب ويحقق السلامة من الضَّلال، فمن حقق الأمرين أفلح ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ [البقرة].

[الوصية الثالثة: لا تكن من أهل البدع].

قال الناظم: (**ولا تكُ بدعياً**)، لا تكُ، أي: لا تكن، وفعل الكون المجزوم أو المبني على السكون يجوز حذف النون منه في الفعل المضارع، وقوله: (**ولا تكُ**) فعل مضارع مجزوم بلا الناهية، فيجوز في اللغة أن تقول: ولا تكُ، ويجوز أن تقول: ولا تكن، وقد جاء في القرآن قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيۡقٖ﴾ [النحل:١٢٧]، وقوله: ﴿وَلَا تَكُن فِي ضَيۡقٖ﴾ [النمل:٧٠]، فجائز هذا وهذا(١)، والنَّاظم آثر حذف النُّون مراعاة للنظم؛ إذ لا يستقيم مع إثباته الوزن، فهذه القصيدة من بحر الطويل من بحور الشعر، وتفاعيله: «فعولن مفاعيلن»، أربع مرات.

(١) انظر شرح بن عقيل (١/ ٢٩٩،٣٠٠).

وقوله: (**بدعياً**) نسبة إلى البدعـة، أي: لا تكـن مـن أهـل البدعـة، لا تكن مبتدعاً.

[تعريف البدعة]:

والبدعة هي ما أُحدِث في الدين وليس منه، على حَدِّ قولـه ﷺ: (مـن أحدث في أمرنا هـذا مـا لـيس منـه فهـو رد)[1] ، وقولـه ﷺ: (إن أحـسن الحديث كتاب الله، وخيرَ الهدي هدي محمَّد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها)[2].

[النهي عن البدعة تأكيد لما أمر به أولاً]:

وهذه الوصية الثالثة من النَّاظم فيها تأكيد لما قبلها، فإنَّ اتِّبـاع الهـدى هو اتِّباع ما جاء به الرسول ﷺ، واتِّباع الهـدى والتمـسُّك بكتـاب الله فيـه العصمة من الضَّلال، لكنَّ هذه الوصية وإن كانت داخلة ضمن مـا سـبق ففي التنصيص عليها تحذير، والله تعالى يجمع في كتابه بـين الأمـر بالـشيء والنهي عن ضده.

فقوله: (**ولا تكُ بدعياً**) أي: كن سُنِيَّاً؛ متبعاً لسنة النبي ﷺ.

---

(١) رواه البخاري (٢٥٥٠)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) رواه البخاري (٦٨٤٩) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، ومسلم(٨٦٧) من حديث جابر ابن عبدالله رضي الله عنهما.

[قسمة الناس إلى سني وبدعي]:

فضد البدعي السني، وهما رجلان: بدعي؛ أي مبتدع، ينتحل بدعة من البدع، إما قدري، أو مرجئ، أو خارجي أوغير ذلك.

وسنِّيٌّ وهو المعتصم بالسنَّة.

وقد افترق الناس في هذه الأمَّة كما أخبر النبي ﷺ فرقاً شتى، كما في قوله ﷺ: (تفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملة واحدة)، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: (ما أنا عليه وأصحابي)[1].

وفي حديث: (هي الجماعة)[2] فهي الجماعة المجتمعة على الحق، على ما جاء به رسول الله ﷺ.

فالناس بين سنِّي وبدعي، فمن سلك طريق السلف الصالح من الصحابة والتابعين فهو من أهل السنَّة، ويتبين هذا بمعرفة مذهب أهل السنَّة، وجِمَاعُه الإيمان بالأصول الستَّة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «هذا اعتقاد الفرقة النَّاجية المنصورة إلى قيام الساعة، أهل السنَّة والجماعة،

---

(١) أخرجه الترمذي(٢٦٤١) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما، وقال الترمذي: «هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه قبل هذا إلا من هذا الوجه»، وحسن لفظه الألباني لغيره في صلاة العيدين ص(٤٦).

(٢) أخرجه أبوداود (٤٥٩٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، وابن ماجة (٣٩٩٣) من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه الألباني في الصحيحة (١٤٩٢)، و(٢٠٤).

وهو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت والإيمان بالقدر خيره وشره»[1]، فهذه أصولُ اعتقادِ أهلِ السنة.

والمبتدعة لا بد أن يخالفوا في شيء من هذه الأصول.

وبدعهم نوعان:

بدع اعتقادية، وبدع عملية.

وأخطرها البدع الاعتقادية، وهي أسبق في الأمَّة من البدع العملية من حيث الوقوع، ومن أمثلة البدع الاعتقادية: أصول البدع كبدعة القدر؛ وهي نفي القدر، وبدعة الخوارج؛ وهي التكفير بالذنوب، وبدعة الرافضة؛ وهي الغلو في آل البيت، ولا سيما في علي رضي الله عنه، وبدعة الإرجاء؛ وهي تأخير الأعمال عن مسمى الإيمان، فهذه كلها بدع اعتقادية.

ومن البدع الكبيرة المتأخرة: بدعة التعطيل؛ وهي نفي أسماء الرب وصفاته، وهذه بدعة من أقبح البدع، وهي أكبر مما قبلها، ولهذا تأخر خروجها، فلم تظهر في الأمَّة الإسلامية إلا في أوائل القرن الثاني، بخلاف البدع الأولى فقد جاءت في النصف الأول بل وقبل النصف الأول من القرن الأول، في عصر خلافة النبوة، فقد ظهرت بدعة الخوارج وبدعة الرافضة في خلافة علي رضي الله عنه.

---

(١) العقيدة الواسطية من مجموع الفتاوى (٣/ ١٢٩)، وانظر توضيح مقاصد ها ص(٢١).

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «إنما يظهر من البدع أولاً ما كان أخفى، وكلما ضعف من يقوم بنور النبوة قويت البدعة»[1]، فالبدع إذا كانت أظهرَ فساداً وبطلاناً تأخر خروجها، ولهذا تأخر ظهور بدعة التعطيل.

[عاقبة هذه الوصايا]:

قال النَّاظم رحمه الله بعد هذه الوصايا الثلاث: **(لعلَّك تفلح)**، أي رجاء أن تفلح.

و(لعلَّ) في مثل هذا فسرت بمعنى الرجاء، وفسرت بمعنى التعليل[2]، كما في قوله:

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾ [البقرة]، أي: لتتقوا.

﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾﴾ [البقرة]، أي: لتفلحوا.

وتفسيرها بمعنى التعليل في القرآن أظهر.

وإذا فسرت بمعنى الرجاء يكون المعنى: راجين أن تفلحوا، أو رجاء أن تفلحوا أو تتقوا.

---

(١) العقيدة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ١٠٤).

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٢٧).

والفلاح هو الفوز والظفر بالمطلوب، ويفسَّر في اللغة بمعنى الخُلُود[١]، والخلود في النعيم من تمام الفوز العظيم، وقد علق الله تعالى الفلاح على جملة من الأعمال الصالحة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾ [النور].

وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران]. ووصف الله المؤمنين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بالله وكتبه وباليوم الآخر بهذا الوصف، فقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة].

والناظم ذكر في هذا البيت طريق الفلاح على سبيل العموم فقال: (**تمسك بحبل الله، واتبع الهدى، ولا** تكن **بدعياً**)، فذلك طريق الفلاح.

(١) انظر لسان العرب (٢/ ٥٤٧).

[الوصية بعد كتاب الله ﷻ بسنة رسول الله ﷺ]

٢- ودِنْ بكتاب الله والسُنَنِ التي　　أَتَتْ عَنْ رَسُولِ الله تَنْجُ وتَرْبَحُ

[الشرح]:

[معنى الدين بكتاب الله وما يتضمنه]:

هذا البيت مضمونه داخلٌ في البيت الذي قبله.

وقوله: (دِنْ): فعل أمر من دان يدين، بمعنى خَضَعَ وذَلَّ وتعبَّد[1].

والفعل: (دان) منه الدِّين، ويطلق على معان كثيرة منها: الشريعة، والمِلَّة، والطَّاعة، والجزاء والحساب، كما في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفاتحة]، أي: يوم الجزاء، وقوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾﴾ [الانفطار].

وأكثر ما يطلق عليه اسم الدين في القرآن الملة التي يدين بها العبد ويسلك على مقتضاها، سواء كانت حقاً أو باطلاً، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾

---

(١) انظر تهذيب اللغة (٢/ ١٤٠).

[آل عمران]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون].

فالدين هنا ما يتدين الإنسان به، ويتعبد به، وهو نوعان: دينٌ حق، ودينٌ باطل.

فدين الله الحق هو الإسلام، وضدُّه: أنواع الكفر، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ إلى قوله: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦﴾ [الكافرون]. ودين الله هو الدين الذي بعث به رسله من أولهم إلى آخرهم، قال ﷺ: (الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلاّت أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ)[1].

وقول الناظم: (**دن بكتاب الله**) أي تعبد بكتاب الله، واخضع لله بالإيمان بكتابه.

وكتاب الله هو القرآن، وله أسماء كثيرة منها: الكتاب، والذكر، والفرقان، والتنزيل، والهدى، والنُّور[2]، وكل اسم له دلالة، وقد فُسِّر

(١) رواه البخاري(٣٢٥٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٧٣).

(الصراط) بالقرآن في قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة] فالقرآن هو الصراط المستقيم، وهو الذكر الحكيم، وهو النُّور المُبين[1].

وقد عبر الناظم بالكتاب، والله تعالى سمَّى القرآن: (كتاباً) في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ﴾ [البقرة:٢]، وقولُه تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ﴾ [النساء: ١١٣]، وقوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾ [الزخرف].

فالكتاب في هذه الآيات هو القرآن، وقد يأتي اسم الكتاب في القرآن لمعان أخرى منها:

حكم الله: كما في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦].

ويطلق على أم الكتاب، أو الكتاب الأول، وهو كتاب المقادير، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ [فاطر:١١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا رَطۡبٖ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ۝٥٩﴾ [الأنعام]، فذاك هو كتاب القدر.

---

(١) انظر جامع البيان (١/ ٧٤).

ويدخل في التَّديُّن أو الدّين بكتاب الله: الإيمان بكتاب الله، والعلم بكتاب الله، والعمل بكتاب الله.

فـ(**دن بكتاب الله**) إيماناً وعلماً وعملاً.

[معنى الدين بالسنن وما يتضمنه]:

وقوله: (**والسُنن التي أتت عن رسول الله**) السنن جمع سنَّة، وهي في اللغة: الطريقة(١)، والمراد بها سُنَّة النبي ﷺ، وهي الطريقة التي جاء بها وسار عليها، وتتناول ثلاثة أمور عند أهل العلم: أقوال رسول الله ﷺ، وأفعاله، وتقريراته.

وسنَّة رسول الله ﷺ المطلقة، شاملة لأقواله وأفعاله وتقريراته، وإذا أريد بيان شيء معين منها يقيد، فيقال: سنَّة الرسول في كذا، سنته في الصلاة، سنته في الركوع، في السجود، وهكذا.

ولهذا يُقال لكتب الحديث (كتب السنَّة)، وإذا اعتبرنا متعلقات سنَّة الرسول المتعددة من الأقوال والأفعال والاعتقادات قلنا السُنن، ولهذا بعض من صنَّف في السنَّة سمَّى مصنَّفَه السُّنن، كسُننِ أبي داود، وسُننِ النسائي، وغيرهما، والمعنى أنَّ هذا المؤلف تضمَّن ذكر سُنن الرسول ﷺ في أمور الدين.

---

(١) انظر تهذيب اللغة (١٢/ ٢١٢).

ولمّا كان الرسول ﷺ هو الذي يبيِّن للنَّاس ما نزَّل الله من وحيه، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل]، ناسب عطف الناظم السنن على الكتاب.

فقال: (**والسُّنن**) والمعنى: دن أيضاً بسنَّة الرسول ﷺ، أي لا بد من: الإيمان بالكتاب والسنة، والعلم بهما، والعمل، فلا يجوز الاقتصار على القرآن، بل لا يُمكِن؛ لأنَّهما مصدران لدين الله، وللعلم النَّافع، وكلاهما – الكتاب والسنة- وحي مُنَزَّلٌ من عند الله بنص كتاب الله، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [النساء:١١٣]. وقال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩]. والحكمة هي السنَّة، وهي قرينة القرآن في القرآن، كما أنَّ الزكاة قرينة الصلاة في القرآن والسنَّة.

[حكم من أنكر السنة]:

والنَّص على السنَّة وبيان أنَّها حق، وأنَّه يجب الإيمان بها واتِّباعها، مستفيض في القرآن، فمن أنكر السنَّة فهو كافر، ومن أنكر العمل بها وقال لا نؤمن ولا نعمل إلا بالقرآن فهو كافر، ولا يمكن العمل بالقرآن إلا مع

الأخذ بالسنَّة، فالسنَّة مفسِّرة للقرآن، مبينة له، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤].

فالله فرض الصلاة في آيات وبيَّن بعض أحكامها القليلة، وإنما علمت أحكامها تفصيلاً من السنَّة، فالرسول ﷺ بيَّن كيفية الصلاة وقال:(صلوا كما رأيتموني أصلي)[١] ، وقل مثل ذلك في الحج، وكذلك في سائر الشعائر والأحكام التي جاءت في القرآن مجملة، وجاءت السنَّة ببيانها وتفصيلها.

[فائدة: النعت قد يأتي صفة مؤسسة أو توضيحية].

وقوله: **(التي أتت عن رسول الله)** صفة توضيحية، والنعت قد يأتي صفة مُؤَسِّسَة، وهي التي يكون لها مفهوم، يُقصد به الاحتراز من شيء آخر، وأحياناً يأتي لمحض التوضيح، كقول النَّاظم هنا: **(التي أتت عن رسول الله)**، فهو لما قال: **(ودِنْ بكتاب الله والسُنن)** يتبادر إلى فهم المسلم أنَّ المراد سُنن رسول الله ﷺ، لكن جاء قوله: **(التي أتت عن رسول الله)** زيادة توضيح، والمقصود بقوله: **(أتت)** جاءت عن رسول الله ﷺ وثبتت بصيغة الجزم، ولهذا لم يقل: السنن التي رويت، أو نحو هذا، فهناك فرقٌ بين: أتت ورُوِيَت؛ لأن نسبة الحديث إلى رسول الله ﷺ إما أن تكون بصيغة الجزم، أو بصيغة التمريض المشعرة بالضعف، فلا يجوز أن تقول:

---

(١) رواه البخاري (٦٠٥)، من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

(قال رسول الله)، أو: (ثبت عن رسول الله) إلا فيما صح، وقد تكون لفظة جاء أو أتى أقل في الجزم، لكن (رُوي)، و(ذُكر) ونحوهما يُسمونها صيغة تمريض، فيقولون: يُذكر عن النبي ﷺ، ورُوي عن النَّبي ﷺ، ليشعروا بالضعف.

فقول الناظم: (**والسنن التي أتت عن رسول الله**)، يريد به السنن التي أتت ثابتة عن رسول الله، والرسول المراد به محمد ﷺ، وإذا أُطلِق رسول الله في عرف المسلمين انصرف إلى محمد ﷺ.

[الفرق بين الرسول والنَّبي]:

قوله: (**رسول الله**)، الرسول: من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه قوماً مكذبين.

والفرق المشهور بين النَّبي والرسول: أن النبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، والرسول من أُوحي إليه بشرع وأُمر بتبليغه.

وهذا الفرق على شهرته غير مستقيم؛ فإنَّ وصف النبِّي بما ذكر يقتضي أنه لا يُعَلِّم ولا يأمر ولا ينهى ولا يبلغ، وهذا غير صحيح، بل الأنبياء أرسلهم الله يحكمون بين النَّاس، ويعلمون النَّاس، ويأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر، كما قال الله تعالى في أنبياء بني إسرائيل:

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ ﴾ [المائدة:٤٤].

ونَصَّ على أن الأنبياء لهم حظٌّ من الإرسال، وهو الإرسال الشرعي العام، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ ﴾ [الحج: ٥٢]. فالنَّبي مرسلٌ مكلف مأمور بأن يُعَلِّمَ ويدعو ويأمر وينهى، والفرق السديد ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب النبوات[1]: وهو أن الرسول بالمعنى الخاص من أرسل إلى قوم مكذبين، والنبي من أرسل إلى قوم مؤمنين يعلمهم ويذكرهم ويحكم بينهم كما في الآية.

[جزاء من تمسك بالكتاب والسنن] :

وأما قول الناظم: (**تنجو وتربح**) فهو جواب من جنس قوله: (**لعلك تفلح**)، فقوله: (**تنجو وتربح**) جواب الطلب (**دن**) في قوله: (**دن بكتاب الله والسنن التي أتت عن رسول الله**)، والفعل المضارع إذا وقع جواباً للطلب جاز فيه الجزم والرفع[2]؛ تقول: اتق الله تفلحْ، أو: اتق الله تفلحُ، يصح هذا وهذا، والنظم اقتضى الرفع فقال: (**تنجو وتربحُ**).

---

(١) (١/ ١٨٤، ١٨٥).

(٢) انظر المفصل في صنعة الإعراب (١/ ٤٧).

والنَّجاة: الخلاص من المهالك والشرور، والربح ضد الخسران، وكلاهما - أعني النَّجاة والرِّبحَ مطلبٌ، وبهما تتحقق السَّلامة من الشَّقاء.

[الكلام عن الفرق بين البيت الأول والثاني وما تضمناه]:

وقلت: إن مضمون البيت الثاني يندرج في البيت الأول لكن فيه تنبيه ومعنى آخر: وهو التنصيص على التمسُّك بالكتاب والسنَّة، وهذا تنصيص على التمسُّك والتديُّن بشريعة الله التي تضمنها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ. ففيه زيادة بيان وزيادة معنى، وهذان البيتان تضمنا وصايا عامة جامعة، وما بعدهما وصايا تفصيلية تتعلق بأشياء مخصوصة مندرجة في هذه الوصايا العامة، فكأن الناظم صدَّر هذه المنظومة بهذه الوصايا العامة في هذين البيتين تمهيداً يبين فيه الأصل الذي ينبني عليه تفصيله لبعض مسائل الاعتقاد في نظمه.

والناظم ذكر جملة من الوصايا المفصلة في اعتقاد أهل السنة اقتضى التنصيص عليها دون غيرها ما حدث في عصره، والأصل الذي قرره في الأبيات السابقة يبين المنهج السلفي السني إزاء ما أحدثه الناس جملة.

[عقيدة السلف في كلام الله عز وجل]

٢- وقُـلْ غـيرَ مخلـوقٍ كـلامُ مَلِيكِنَـا بـذلك دانَ الأتقِيَـاءُ وأَفْـصَحُوا

[الشرح]:

هذان البيتان ضمَّن فيهما النَّاظم الوصية بعقيدة السَّلف في كلام الله وفي القرآن، والتحذير من بعض مناهج المبتدعة.

وبدأ رحمه الله بنفي خلق القرآن لأنَّه أشهر ما وقع فيه الخوض والجدل بين أهل السنَّة ومخالفيهم، ولاسيما في زمانه.

[فتنة خلق القرآن]:

ففتنة القول بخلق القرآن كانت فتنة عظيمة، والقول بخلق القرآن قديم، وأول من ابتدعه الجعد بن دِرْهم، وأخذه عنه الجهم بن صفوان، الذي حمل لواء هذه البدعة ونشرها فاشتهر بها واشتهرت به، ولم تزل تتفاقم هذه البدعة وتشتهر، ويُضل بها المفتونون، ويتصدَّى الأئمة لقمعها ومحاربتها والتحذير منها ومن أهلها، حتى جاء عهد الخليفة العباسي المأمون فأحاطت به المعتزلة واعتنق مذهبهم في القرآن، فحمل الناس عليه وامتحنهم به، فعظمت المحنة، وابتُلِي العلماء، وتأول من تأول، وافتُتِن من افتتن، وثَبَّتَ الله من ثبت، وأعظم من ثبت في المحنة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، فلم يداهن في دين الله ولم يتأول، بل ثبت على القول بأن القرآن

كلام الله غير مخلوق، ورد على المبتدعة ونـاظرهم وبـين أن القـول بخلـق القرآن بدعة منكرة، لم تأتِ في كتاب الله تعـالى، ولا سـنَّة رسـوله ﷺ، ولا قائل بها من سلف الأمة، بل هي باطل مبني عـلى باطـل، فـالقول بخلـق القرآن مبني على نفي كلام الرب ﷻ وهذا باطل.

فالنَّاظم رحمه الله بدأ بالنَّص على ما يجب اعتقاده في كلام الله وفي القرآن، وحذر من بدعة الجهمية فيه.

فقال: (**وقل غير مخلوق**)، وهذا أمر بأن تذهب مـذهب أهـل الـسنة والجماعة، فتقول ما قالوه في كلام الله: (**غير مخلوق كلام مليكنا**)، بـل هـو كلام الله المنزَّل.

[الفرق بين القرآن وكلام الله]:

وقوله: (**كلام مليكنا**) تعبير بالأعم، فالفرق بين كـلام الله والقـرآن، أنَّ كلام الله أعم من القرآن، فكلام الله يشمل ما سبق مما أنزلـه في الكتـب المتقدمة، فالتوراة والإنجيل والقرآن كلها كـلام الله، وتكلـيم الله لموسـى، وخطابه الملائكة، ونداؤُه الأبوين، كل ذلك داخل في كلام الله؛ فالله تعـالى لم يزل يتكلم بما شاء كيف شاء إذا شاء، والقرآن من كلام الله.

فقول النَّاظم: (**وقل غير مخلوق كلام مليكنا**) يـشمل القـرآن وسـائر الكتب، بل يشمل سائر ما يتكلم الله به، وكـلام الله مطلقـاً غـير مخلـوق، خلافاً للجهميـة والمعتزلـة، ومـن يقـول: إنَّ كـلام الله مخلـوق يقـول: إنَّ

القرآن مخلوق، وخطاب الله لموسى مخلوق. فالمعتزلة تقول: إنَّ الله كلَّم موسى بكلام مخلوق، خلقه في الشجرة، فالله خلق كلاماً في الشجرة سمعه موسى[١]، فالله إذا أراد أن يكلِّم أحداً خَلَقَ كلاماً، ولايقوم الكلام به، وهذا مع أنه باطل في الشرع فهو مخالف للعقل، فمن الباطل عقلاً أن يُوصف شيءٌ بكلامٍ لم يقم به، فلا يقال: إنَّه متكلِّم بكلامٍ قام بغيره، هذا غيرُ معقول، وإنَّما يُضاف الكلام إلى من قام به الكلام، ولا يقال لشيءٍ إنَّه متكلم إلا بكلامٍ قام به، فلا يوصف شيءٌ بكلامٍ قام بغيره، وعلى مذهب المعتزلة إذا قيل: إنَّ الله -تعالى- متكلم، فالمعنى أنه يخلق كلاماً لا يقول كلاماً، والقرآن كلام الله مخلوق من جملة المخلوقات وليس هو قول الله تعالى، فالكلام ليس صفةً قائمة به.

[معتقد أهل السنة في القرآن]:

أما أهل السنة، فمعتقدهم أن: «القرآن كلام الله منزَّل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود ... وهو كلام الله حروفه ومعانيه، ليس كلامُ الله الحروفَ دون المعاني، ولا المعانيَ دون الحروف»[٢].

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/ ٤)، وانظر الكشاف (٣/ ١٢٦)، و(٤/ ٥٩٩).

(٢) العقيدة الواسطية، انظر مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٤).

فالله تكلم بالقرآن حقيقةً وأنزله من عنده، قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١﴾ [الزمر]، وقال سبحانه: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾ [فصلت]، وقال: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ﴾ [النحل: ١٠٢]، فابتداء نزول القرآن من الله، لا من سواه سبحانه، والله هو المتكلم به ابتداء ليس غيره.

ولهذا قال الناظم: (**كلام مليكنا**)، فنفى عنه الخلق، وأضافه إلى قائله سبحانه.

والمليك اسم من أسماء الله، فمن أسمائه تعالى الملك والمليك، قال الله تعالى: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾ [القمر].

وبعد أن بين الناظم القول في كلام الله قال: (**بذلك دان الأتقياء**) يريد أهل السنة والأئمة، فكلهم دانوا بذلك، أي آمنوا به، (**وأفصحوا**) فأعلنوه وصرحوا به.

وهذا سبيل المتقين، الذين اقتَفَوا أثر الصحابة والتابعين، واجتَنَبُوا طريق البدعة والمحدثين، فتلك عقيدتهم في القرآن، وفي كلام الله عموماً.

[مذاهب الناس في كلام الله]:

وقد اضطرب الناس في كلام الله على مذاهب منها:

١- مذهب الجهمية والمعتزلة:

وهؤلاء يقولون: إن كلام الله مخلوق، وإنه - تعالى- لا يقوم به الكلام، لا لفظه ولا معناه، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

وهذا راجع إلى أصلهم الباطل: وهو نفي صفات الرب مطلقاً، فإنَّهم ينفون عن الله أن تقوم به الصفات، فلا يقوم به علم ولا سمع ولا بصر ولا كلام... ولا غير ذلك، ويزعمون أنه لو قامت به الصفات لكانت قديمة، وإذا كانت قديمة للزم تعدد القدماء، فيلزم من ذلك تعدد الآلهة، وهذا تلبيس من الشيطان عليهم، فالله تعالى واحد بصفاته، فتعدد الصفات لا يلزم منه تعدد الآلهة، وصفة الإله لا يقال لها إلهاً، كما أنَّ صفة النَّبي ليست نبياً.

وهذا الجواب مقرر في القاعدة السادسة من الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية[1]؛ وقد ذكر رحمه الله شبه النفاة وأجاب عنها، وفي معرض ذلك بين أن تعدد الصفات لا يلزم منه تعدد الآلهة؛ لأنَّ صفة الإله ليست إلهاً، فالله تعالى بصفاته إله واحد.

٢- المذهب الثاني: مذهب الكلاَّبية والأشاعرة.

وهم أتباع أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كُلاَّب، وهو أحد المتكلمين المنتسبين إلى السنَّة، وكان يرد على المعتزلة[2]، وعلى منهجه درج أبو الحسن

---

(١) التدمرية مع الشرح ص(٣٣٤).

(٢) انظر تاريخ الإسلام (١٧/ ٤٢٨).

الأشعري، وهؤلاء يقولون إن كلام الله معنىً قائم بذاته، ليس بحرف ولا صوت وإنه قديم لا تتعلق به المشيئة.

[الفرق بين مذهب الكُلاَّبية والأشاعرة]:

لكن ابن كُلاَّب يقول: إنَّه أربعة معانٍ: أمرٌ، ونهيٌ، وخبرٌ، واستخبار، وأما الأشعري في المذهب المشهور الموروث عنه فيقول: إنه معنىً واحد لا تعدد فيه، وهو قديم لا تتعلق به المشيئة، وهو معنىً نفسي ليس بصوت ولا حرف، وهذا هو مذهب الأشاعرة الذي يتكلمون به ويقررونه.

ومذهب الكلُاَّبيَّة والأشاعرة قريبان في المعنى.

٣- والمذهب الثالث: مذهب السالمية(١).

وهو أيضاً من جنس مذهب الكُلاَّبية والأشاعرة، فهم ينتسبون إلى السنَّة ويخالفون المعتزلة، وهؤلاء يقولون: إنَّ كلام الله قائم به، وهو بحرف وصوت، ولكنه قديم كله لا تتعلق به المشيئة، ولا يحدث منه شيء بعد شيء.

---

(١) أتباع أحمد بن محمد بن سالم أبي الحسن البصري، الصوفي ابن الصوفي، المتكلم، وهو شيخ أهل البصرة في زمانه، أدرك سهلَ بن عبد الله التُسْتَرِيَّ، أخذ عنه وبقي إلى الستين والثلاثمائة. انظر الوافي بالوفيات (٨/ ١٢).

[الفرق بين مذهب السالمية والأشاعرة]:

فهم يتفقون مع الأشاعرة على أنَّ كلام الله قديم، وأنَّه لا تتعلق به المشيئة، لكن هؤلاء السالمية يقولون إنَّه حروف وأصوات قديمة، وأولئك يقولون إنَّه معنىً واحد لا تعدد فيه.

٤- **وأما المذهب الرابع: فمذهب الكرامية**(١).

وهؤلاء يقولون: إنَّ كلام الله قائم به، وإنَّه بحرف وصوت، وإنَّه يتكلم إذا شاء بما شاء، لكنهم يقولون: إنَّ الله تعالى صار متكلماً بعد أن لم يكن، فكلامه حادث، وجنسه ليس بقديم عندهم، وهذا باطل.

وكل هذه الأقاويل مخالفة للعقل والشرع، ومتضمنة تنقص رب العالمين سبحانه، ولأصحابها شبهات ومناقشات واستدلالات موجودة في الكتب المبسوطة كـ(شرح الطحاوية)، وقد ذكر فيه مذاهب كثيرة في كلام الله(٢)، وهذه المذكورة أشهرها.

٥- **وأما المذهب الخامس: فهو مذهب أهل الحق، أهل السنة والجماعة**:

القائلين بأنَّ الله تعالى لم يزل يتكلم بما شاء إذا شاء كيف شاء، وأنَّ كلامه صفة له قائمة به، وأنَّه بصوت وحرف غير مخلوق، يُسمعه من شاء

---

(١) أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام بن عراق بن حُزَابة السجزي، مات بالقدس سنة ٢٥٥. انظر تاريخ دمشق (٥/ ١٢٩).

(٢) انظر شرح الطحاوية ص(١٦٨).

من عباده، كما سمع موسى عليه السلام كلام الله، كما قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ١٦٤﴾ [النساء]، وسمع الأبوان نداءه -سبحانه-: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢﴾ [الأعراف]، وسمعت الملائكة كلامه، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ﴾ [البقرة: ٣٠]، وهكذا جبريل عليه السلام سمع القرآن من الله وبلَّغه لمحمَّد ﷺ، ويقولون: إنَّ الله لم يزل يتكلم، فليس لجنس كلام الله بداية، أما تكليمه موسى عليه السلام آحاد الكلام عندما جاء لميقات ربه، فليس بقديم بل هو حادث، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف:١٤٣]، فكلام الله قديم النوع حادث الآحاد، آحاده متجددة تبعاً لمشيئته.

ويقولون: إن كلام الله تعالى لا يحصى، وكلماته لا تنفد: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ١٠٩﴾ [الكهف]، وكذلك الآية في سورة لقمان: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٧﴾.

وكلام الله يكون خبراً ويكون طلباً وإنشاء، وكلمات الله منها كلمات كونية بها يُكَوِّن الأشياء.

وكلمات شرعية تتضمن الأحكام، وهي أوامره ونواهيه وأخباره في كتبه المنزَّلة كالقرآن، قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾﴾ [الأنعام]. هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالى.

[هل القرآن قديم]؟

وأما القرآن فلا يوصف بالقدم، ومن يقرأ شرح الحائية للسفَّاريني سيجد أن كلمة قديم تتكرر في وصفه للقرآن(١)، وهذا غلط يتفق مع مذهب الأشاعرة ومذهب السالمية، الذين يقولون: إنَّ كلام الله لا تتعلق به المشيئة، وليس فيه تجدد وحدوث.

وأهل السنة يقولون: كلام الله قديم النوع، حادث الآحاد، أما القرآن -كتاب الله الذي أنزله على محمد ﷺ- فلا يقال فيه إنَّه قديم، قال الله تعالى: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾﴾

(١) انظر لوائح الأنوار (١/ ٢٣٩، ٢٤٦).

[الأنبياء]، وكونه مكتوباً في أم الكتاب لا يستلزم القدم المعروف في مصطلح المتكلمين، وهو ما لا بداية له.

[قول الواقفة في القرآن]

٤- ولا تَكُ في القرآنِ بالوقْفِ قائلاً كما قالَ أتباعٌ لجهمٍ وأسْجَحُوا

[الشرح]:

بعد ما ذكر الناظم رَحِمَهُ ٱللَّهُ المذهب الحق في كلام الله وفي القرآن قال بعد ذلك: (**ولا تكُ**): (**لا**) ناهية و(**تكُ**) فعل مضارع مجزوم، تحذف نونه جوازاً، وتَعيَّن حذفها في النَّظم للوزن، كما تقدم في قوله: (**ولا تكُ بدعياً**)(١).

وقوله: (**ولا تكُ في القرآن بالوقف قائلاً**) أي: لا تقل أيها المسلم السنَّي المتبع للسلف الصالح بقول الواقفة في القرآن الذي هو كلام الله المنزَّل على قلب عبده ورسوله محمَّدٍ ﷺ، الموصوف بأنه أحسنُ الحديث كما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر:٢٣].

والوقف هو الإمساك عن القول بأنَّ القرآن مخلوق أو غير مخلوق، وهذا مذهب انتحله بعض الجهمية، وربما سلك على طريقهم بعض الجهلة، يقولون: القرآن كلام الله، لا نقول مخلوق، ولا غير مخلوق؛ لأنَّه ما

(١) انظر ص(١٧).

جاء أنَّ الله تكلَّم بالقرآن، والذي جاء أن القرآن كلام الله، فيقولون هو كلام الله، ويتوقفون في خلقه نفياً أو إثباتاً، وهذا التوقف شك.

ويلزم القائلين بأن القرآن كلام الله أن يقولوا تكلَّم به؛ لأنَّ كلمة: (تكلَّم الله به)، توضيح لقولهم: (كلام الله).

[خطر القول بالوقف]:

والقول بالوقف مذهب باطل، أنكره أئمة أهل السنَّة، ومنهم الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وقال: إنَّ الواقفة الذين يقولون: القرآن كلام الله، لا نقول مخلوق ولا غير مخلوق جهمية، وقال مرة: هم شرٌّ من الجهمية المصرحين بأنَّ القرآن مخلوق[1]. لأنَّ الذي يصرح قد أوضح مذهبه، فلا خفاء ولا التباس على السني في شأنه؛ فمن قال: «القرآن مخلوق» فقد أبان مذهبه، وعرف الناسُ تجهُّمَه، وحَذِروا باطلَه، ولاسيما مع اشتهار نكير السلف لهذه البدعة التي لم يقل بها غير أتباع الجعدِ بن دِرهم، والجهمِ بن صفوان.

لكن الواقفة ينخدع الجهال بمسلكهم، وقد سلك هذا الطريق بعض الجهمية مراوَغة وتَقِيَّة تستراً وتلبيساً، لأنَّه يعلم أنه لو قال: القرآن مخلوق نبذه أهل السنَّة، وأنكروا عليه، وأغلظوا له، وإن قال: القرآن كلام الله غير مخلوق، خرج عن مذهبه الذي يستبطنه، فيمسك عن القول معتقداً عقيدة جهم سالكاً مسلك الخداع والمكر الخبيث.

---

(١) السنة لعبدالله بن أحمد (١/ ١٦٥).

و هذا قد يستسيغه بعض الجهال بحسن نية، بل بعض العلماء رأوا أنَّ الخوض في هذه المسألة لا طائل تحته ولا موجِبَ له، والحق أن البدعة إذا أُظهرت، وتُكلِّم بها، ودعي إليها، فلا بد من التحذير منها وأهلها، وتحديد الموقف تجاهها، لأنَّ التوقف مضمونُه الشك، والسكوت عليه يتضمنُ إقرارَ هذا الشك، وتوجيهَ احتمال صحة قول الجهمية، فمقتضى التوقف أنَّ مذهبهم ليس بالباطل البيِّن الذي يجب إنكاره، ولهذا قال إمام أهل السنة: إنَّ الواقفة أخبث، وإنَّهم شر من الجهمية، وقال: الواقفة جهمية.

ولخطرهم نهى الناظم عن طريقتهم فقال: (**ولا تكُ في القرآن بالوقف قائلاً كما قال أتباع لجهمٍ**)، وفي هذا تصريح بأن الواقفة في القرآن، الذين يقولون: إنَّ القرآن كلام الله، ولا نقول مخلوق ولا غير مخلوق، هم طائفة من الجهمية.

و(**جهم**) هو إمام المعطلة في هذه الأمة.

وقول الناظم: (**وأسجحوا**) من أسجح بالشيء إذا لانت به نفسه[1]، فأتباع جهم لانت نفوسهم ومالت قلوبهم إلى هذا المعتقد، فَسَهُلَ عليهم القول به.

---

(١) القاموس المحيط ص(٢٨٥).

والسفَّاريني في الشرحِ شَرَحَ على أن اللفظ: (**وأسمحوا**)[١]، وهو قريب من هذا، ومعناه: سمحت نفوسهم باعتقاد هذا القول وتقريره، مع فساده وبطلانه.

(١) لوائح الأنوار (١/ ٢٣١).

[بدعة اللفظية]

٥- ولا تقـلِ القُـرآنُ خَلـقٌ قُرَانُـه فـإنَّ كـلامَ الله بـاللَّفْظِ يُوضَـحُ

[الشرح]:

قال الناظم: (**ولا تقلِ القُرَانُ خلقٌ قُرانه**).

(**ولا تقل القران خلق قُرانه**) وفي نسخة (**قراءةً**) وهو الذي مشى عليه الشارح[1].

والأولى عندي (**قراءته**)، والمعنى لا تقل قراءة القرآن خلقٌ: أي قراءتي وكذا تلاوتي ولفظي بالقرآن مخلوق، والذي أُثبِت هنا (**قُرانه**) بالتسهيل له وجه؛ لأنَّ القرآن يطلق ويراد به القرآن الذي هو كلام الله المثبت بين دفتي المصحف، ويطلق بمعنى القراءة، ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ [القيامة] أي: قراءته، ومن هذا قوله ﷺ: (يجيء القرآن كالرجل الشاحب)[2] أي: القراءة التي هي عمل القارئ.

والنَّاظم يريد نهي المسلم السنِّي أن يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، أو تلاوتي، وقراءتي للقرآن مخلوقة، وهذه مسألة كبيرة كثر فيها الخوض

---

(١) لوائح الأنوار(١/ ٢٣٢).

(٢) أخرجه ابن ماجة (٣٧٨١)، من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه.

والقيل والقال والافتراء، واشتهر عن الإمام أحمد أنَّه قال: «من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي، ومن قال غير مخلوق فهو مبتدع»[(١)]، والقائلون بأنَّ اللفظ بالقرآن مخلوق يُسَمَّونَ اللفظية[(٢)].

ولا ريب أنَّ من الجهمية من يقول لفظي بالقرآن مخلوق، وهو يريد القرآن الملفوظ به مخلوق، وقد اشتهر أن الإمام البخاري قال: لفظي بالقرآن مخلوق، فنشأ عن ذلك فسادٌ بينه وبين شيخه محمد بن يحيى الذهلي رحمهما الله، والبخاري بيَّن المسألة وقرر فيها مذهب أهل السنة في كتابه خلق أفعال العباد، وفي كتاب التوحيد من صحيحه[(٣)].

[الحذر من الألفاظ المجملة]:

وقد أنكر السلف قول اللفظية لأن اللفظ مصدر لَفَظ يلفِظ لفظاً، والمصدر في اللغة العربية يُطلق ويُراد به المعنى المصدري، ويُطلق ويُراد به اسم المفعول، مثل الخلق يطلق على المخلوق إذا أريد به المفعول، ويطلق

---

(١) انظر صريح السنة ص(٢٦)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٣٥٥).

(٢) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٣٥٥).

(٣) انظر صحيح البخاري كتاب التوحيد(باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، وما بعده من الأبواب)، ويؤيد عدم صحة هذه النسبة إلى الإمام البخاري صريح قوله، فإن محمد بن نصر قال: «سمعته يقول: من زعم أني قلت: لفظي بالقرآن مخلوق فهو كذاب»، انظر تاريخ دمشق (٥٢/ ٩٥)، وطبقات الحنابلة (١/ ٢٧٧)، والسير (١٢/ ٤٥٧)، وفتح الباري (١/ ٤٩١، ١٣/ ٤٩٢، ١٣/ ٥٠٣، ١٣/ ٥٣٥).

على فعل الخالق إذا أريد به المصدر، ومثله الرد بمعنى المردود، والرد بالمعنى المصدري، رد يرد رداً، وهذا كثير[١].

وقس عليه من جنسه فتقول: هذا خلق الله -تشير إلى بعض الأشياء-:أي مخلوق لله مفعول له، أما الخلق بالمعنى المصدري فهو صفة لله وفعل من أفعاله، ومثله الأمر، يأتي بمعنى المأمور، ويأتي بالمعنى المصدري الذي هو الفعل أمر يأمر أمراً، وهكذا.

فصارت كلمة (لفظ) كلمة مجملة.

فإذا قال قائل: لفظي بالقرآن مخلوق، فينبغي أن يستفصل منه فيقال: ما تريد بقولك هذا؟ فإن قال:أُريد أنَّ تلفظي ونطقي وصوتي وحركة جوارحي -لساني وشفتي- مخلوقة، كان المعنى الذي وصف صحيحاً، فالكلام كلام الباري، والصوت والألحان صوت القارئ[٢].

وإذا قال: لفظي بالقرآن أريد ما أتلفظ به مخلوق، قلنا هذا باطل، الكلام الذي تتلفظ به وتؤديه بصوتك كلام رب العالمين، فالله تعالى تكلَّم بالقرآن، وسمعه منه جبريل ﷺ، وبلَّغه لمحمد ﷺ، والصحابة سمعوا القرآن من الرسول ﷺ، والمسلمون سمع بعضهم القرآن من بعض، وقد

(١) انظر لسان العرب (١/ ٤٩٦).

(٢) انظر الفتاوى الكبرى (٥/ ١٦، ٢٩).

قـــال الله تعـــالى: ﴿وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، يسمع كلام الله من الرسول، أو من أحد الصحابة، أو من آحاد المؤمنين، فالنَّاس لا يسمعون كـلام الله مـن الله، إنـما يـسمعونه مـن بعضهم، يُؤدونه بأصواتهم وحركاتهم وأفعالهم.

وهذه المسألة لَمّا كان فيها إشكال واشتباه؛ أتى الإمام أحمد في جوابها بهذا التفصيل، وهو قوله: «من قال لفظي بالقرآن مخلـوق فهـو جهمـي»، ومراده الذين يتـسترون ويطلقـون هـذا التعبـير الْمُلَـبِّس المـشابه لتلبـيس الواقفة، فمن قال به فهو جهمي، «ومن قال لفظي بالقرآن غير مخلوق فهو مبتدع»؛ لأنَّ هذا فيه اشتباه وتَكَلُّمٌ بالمجملات.

والإمامُ البخاريُّ أَلَّفَ كتـاب: (خلـق أفعـال العبـاد)، رد فيـه عـلى القدرية، وضمَّنَه الرَّد على اللفظية.

والحاصل أنَّ: التلاوة، والقراءة، واللفظ، هذه الكلمات كلهـا ألفـاظ محتملة مجملة؛ فلهذا منع الأئمة من إطلاق القول بلفظي بالقرآن مخلـوق، أو تلاوتي القرآن مخلوقة، أو قراءتي؛ لأنَّ القـراءة مـصدر كـاللفظ، يُطلـق ويُراد به الفعل، ويُطلق ويُراد به المفعول[1]. ولهذا قـال النَّـاظم رحمه الله: **(ولا تقلِ القرآن)** الذي هو كلام الله، **(خلقُ قُرانه)** أي خلق قراءتي له.

---

(١) انظر مسألة الأحرف ضمن مجموع الفتاوى (١٢/ ٣٠٧).

قال: (**فإنَّ كلام الله باللفظ يوضح**): أي إن كلام الله يُوضَّح ويُبيَّن ويُظهر بتلفُّظ القارئ، وكلام الله يأتي على وجوه: فيجيء ملفوظاً مقروءاً، ويأتي مكتوباً مسطوراً، ويكون لدى السامع مسموعاً، ولدى الحافظ محفوظاً، وهو كلام الله في كل هذه الأحوال؛ فالقرآن كلام الله كيفما تَصَرَّف كما قال الإمام أحمد رحمه الله[1]، فهو كلام الله محفوظاً في الصدور، كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ﴾ [العنكبوت:٤٩]، ومكتوباً في المصاحف، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾﴾ [الطور]، وقال تعالى: ﴿فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾﴾ [عبس]، ومتلوّاً بالألسُن، كما قال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الكهف]، ومسموعاً بالآذان، كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ﴾ [الزمر:١٨]، وقال: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

---

(١) انظر اعتقاد الإمام ابن حنبل ص(٢٩٦)، وتبيين كذب المفتري ص(٤٠٨).

فالنَّاظم رحمه الله في هذا البيت بيَّن أنَّ الواجب في هذا المقام الحذر من الألفاظ المجملة، وترك إطلاقها نفياً أو إثباتاً إلا مع البيان، حَذَرَ أن يفضي إطلاقها إلى رد الحق أو قبول الباطل.

[رؤية الله ﷻ]

٦- وقـلْ يـتجلَّى الله للخلـق جهـرةً كما البدرِ لا يَخفى وربُّك أوضـحُ

[الشرح]:

و(قل) أيها المسلم السنِّي المُقتفي لأثـر السلف الصالح: بقلبك معتقداً، وبلسانك مقراً ومعلناً، (يتجلَّى الله): أي يظهر ﷻ ظهوراً بإشراق ونور، فالتجلِّي ليس مرادفاً للظهور، بل هو ظهور بإشراق ونور[1].

والتجلِّي صفة من صفات ربنا سبحانه قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف:١٤٣]. كما أنه ﷻ موصوف بالنُّور قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر:٦٩].

وقول الناظم: (يتجلى الله للخلق): أي يظهر -كما ذكر- لجميع النَّاس فيرونه رؤيةً لا خفاءَ فيها ولا التباس، كما يرون القمر، وذلك يوم القيامة، ولم يقيده به الناظم، لكنَّه معلوم بدهي.

[مذاهب العلماء في رؤية الكفَّار لله ﷻ يوم القيامة]:

وهل يراه المؤمنون دون الكفار، أم يراه الناس كلهم؟

---

(١) انظر لسان العرب (١٤/ ١٥١).

محل خلاف، فأما المؤمنون فإنهم يرونه باتفاق أهل السنة في عرصات القيامة، وفي الجنة في يوم المزيد.

وأما غيرهم فقد اختلف فيهم أهل العلم على مذاهب[١]:

فقيل: لا يراه الكفار بل هم محجوبون عنه مطلقاً، وقيل: بل يرونه رؤية لا تسرهم، بل تزيد من حسرتهم وخزيهم، فليس لهم فيها حظٌّ ولا نعيم.

ويمكن أن يُستدل لهذا القول بمثل قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ﴾ [الأنعام: ٣٠]، وبذكر لقاء عموم الخلق له سبحانه، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا﴾ [يونس:٧]. وقيل: بل يراه المنافقون دون سائر الكافرين؛ لأنَّهم يكونون مع المؤمنين في بعض مواقف القيامة فيرون الله تعالى رؤية لا تسرهم ولا تسعدهم؛ لما يعلمونه من حالهم، ويترقبونه من سوء مآلهم. وقد دل على هذا ما ثبت في الصحيح، قال ﷺ: (يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت

---

(١) انظر رؤية الله للدارقطني ص(٢٥)، ومجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٧).

الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها[1]... قال: فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا؟ فلا يكلمه إلا الأنبياء. فيقول: هل بينكم وبينه آية تعرفونه؟ فيقولون: الساق. فيكشف عن ساقه فيسجد له كل مؤمن، ويبقى من كان يسجد لله رياء وسمعة فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طَبَقاً واحداً)[2].

ومقتضى قول الناظم إثبات عموم الرؤية للمؤمن والكافر، وربما أراد بالخلق: المؤمنين خاصَّة، فيكون لفظه من قبيل العام الذي أُريد به الخصوص.

وقوله: (**للخلق جهرةً**): أي علناً[3]، فالجهر ضد الإسرار، إعلانٌ لشيء وكشف وإظهار، يوضح هذا سؤال بني إسرائيل موسى، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة:٥٥]، والمعنى: نراه رؤية ظاهرة علانية.

وقوله: (**كما البدر**): أي مثلما يظهر ويتجلى البدر، والبدر القمر في ليالي الإبدار، وهي: ليلة الثالث عشر، والرابع عشر، والخامس عشر،

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ، انظر صحيح البخاري (٧٧٣)، (٦٢٠٤)، ومسلم (١٨٢).

(٢) متفق عليه من حديث أبي سعيد ﷺ، انظر صحيح البخاري (٧٠٠١)، ومسلم (١٨٣).

(٣) جهرة: عياناً وعلناً. انظر تاج العروس(١٠/ ٤٨٩).

و(**ما**) في قوله: (**كما**) زائدة، أصلها كالبدر، لكن المصنف احتاج إليها من أجل الوزن. وقوله: (**لا يخفى**)، إذا لم يكن دونه سحاب، والنَّاظم أخذ هذا من تمثيل رسول الله ﷺ في حديث الصحيحين: لما قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب»؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: «هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب»؟ قالوا: لا يا رسول الله. قال: «فإنَّكم ترون الله يوم القيامة كذلك»[1] فالنَّاظم أخذ هذا من الحديث.

وقوله: (**وربك أوضح**) أي الله -تعالى- أظهرُ إشراقاً، وأعظمُ نوراً من الشمس والقمر، وهذا التشبيه من قبيل تشبيه الرؤية بالرؤية، لا تشبيه المرئي بالمرئي؛ فلا يقال: الله كالبدر، أو تجليه كتجلي البدر، أما قول الناظم فمن باب قياس الأولى، ولهذا قال: (**وربك أوضح**)، وكل كمال فالله أولى به، فليس ظهور الله كظهور البدر، لكن إذا كان القمر الضئيل لا يخفى، ولا تحيط به الرؤية، فالله العظيم إذا تجلى كان بذلك أولى.

---

(١) سبق تخريجه ص(٥٤).

[تنزيه الله عن الولد والوالد والشبيه]

٧- ولـيس بمولـودٍ ولـيس بوالـدٍ ولـيس لـه شِـبْهٌ تعـالى المـسبَّحُ

[الشرح]:

هذا بيت كأنه مقحم بـين هـذه الأبيـات، ومـضمونه التنزيـه، ومـن القواعد المقررة أن الله موصوف بإثبات صفات الكـمال، ونفـي النقـائص والعيوب، وكل نفي في صفاته فإنَّه متضمِّن لإثبات كماله، فالنفي المحض لا يدخل في صفاته سبحانه، كما أوضح ذلك الإمام ابن تيميـة في مواضـع من كتبه[(١)]، ومن ذلك القاعدة الأولى في العقيدة التدمريـة، قـال رحمه الله: «إنَّ الله سبحانه موصوف بالإثبات والنفي»[(٢)]، ثم بيَّن أنَّ النفي المحض الـذي لا يتضمن ثبوتاً ليس فيه مدح ولا كمال، فلا يوصف الله به، بـل يوصـف بالنفي المتضمن للكمال، فنفي الظلم عنـه سـبحانه يتـضمن إثبـات كـمال عدله، ونفي الضلال والنسيان يتضمن كمال علمه، ونفـي الولـد والوالـد والكفؤ يتضمن كمال صمديته ووحدانيته، ونفـي الـسِّنَةِ والنـوم يتـضمن كمال الحياة والقيام.

(١) ومنها منهاج السنة النبويـة (٢/ ٣١٩)، ودرء تعـارض العقـل والنقـل (٦/ ١٦٧)، وانظـر مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٥٠).

(٢) العقيدة التدمرية ضمن مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥)، وانظر شرحها ص(١٨٢).

ومن هذا القبيل ما ذكره الناظم، من نفي الشبيه والولد والوالد، قال الله تعالى في سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾.

قال الناظم: (**وليس بمولودٍ**) أي ليس الله مولوداً، وهذه الباء عند النحويين زائدة[1]، فليس شأن الله شأن المتولدات، فالمولود محدث بعد أن لم يكن، مسبوق بغيره، والله -تعالى- لا أول له، فهو الأول الذي ليس قبله شيء.

(**وليس بوالدٍ**)، فالولد جزء من والده، وهو صنو أبيه والله -تعالى- أحدٌ صمدٌ، ليس له نظيرٌ ولا شريكٌ، ﴿سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ﴾ [النساء:١٧١].

قال الناظم: (**وليس له شِبْهٌ**) ولو قال: «وليس له كفؤٌ»، كان أولى؛ ليتطابق مع لفظ القرآن، أو قال: «وليس له مِثْلٌ»؛ ليتوافق مع قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى:١١]، لكن الشبه والمثل والكفؤ كلمات متقاربة.

---

(١) اللمع (١/ ٧٤).

وقوله: (**تعالى**) أي ارتفع وجل عن أن يكون له والد أو ولد أو شبهٌ، فتعالى الله عما نفى من المعايب في حقه، بل تعالى الله عن كل ما لايليق به، وكلمة (تعالى) تستعمل في التنزيه كـ(سبحانه).

وقوله: (**المسبَّح**) أي المنزَّه عن كل نقص، فجمع له بين التنزيه عن النقص مع إثبات علو الشأن والقدر المتضمن للتنزيه وإثبات الكمال، كما جمع الله بينهما لنفسه، قال الله ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [القصص]، وقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [الأنعام].

[تنبيه]:

ولقائلٍ أن يقول: لماذا أتى النَّاظم بهذا البيت وأقحمه في وسط الأبيات التي يقرر فيها مسألة الرؤية؟

والذي ظهر لي أنَّه أتى به بمناسبة قوله: (**كما البدر لا يخفى وربك أوضح**)، فكأنه لما أورد المثل الآنف جاء بهذا البيت احترازاً من توهم تشبيه الله بالمخلوق، وقال تبعاً: (**وليس بمولودٍ وليس بوالدٍ**) تكميلاً للمعنى، والجامع ورود هذه الثلاثة في سورة واحدة، هي سورة الإخلاص.

[إنكار الجهمية رؤية العباد لربهم]

٨- وقد يُنكرُ الجهمِيُّ هذا وعندَنَا بمِصْدَاقِ ما قُلْنَا حَديثٌ مُصَرِّحُ

٩- رواه جريرٌ عن مَقَالِ محمدٍ فقلْ مثلما قد قَال في ذاكَ تَنْجَحُ

[الشرح]:

يقول: (**وقد يُنكر الجهمي هذا**)، (**قد**) تأتي للتكثير أوالتقليل أو التحقيق[١]، وفي هذا السياق جاءت للتحقيق.

والإشارة هنا راجعة إلى موضوع تجلي الله للخلق جهرة، فالجهمي ينكر هذا ويكذب بأن الله يُرى، أما قوله: (**وليس بمولود وليس بوالد وليس له شبه**)، فهذا لاينكره الجهمي بل يوافق عليه.

[مسألة الرؤية]:

أما الرؤية فاختلف فيها النَّاس على مذاهب[٢]:

القول الأول: ما عليه أهل السنَّة والجماعة، من الإيمان بأن الله يُرى؛ يراه المؤمنون يوم القيامة رؤيةً حقيقية عِياناً بالأبصار، مثل رؤيتهم الشمس والقمر كما يشاء سبحانه وتعالى.

---

(١) انظر مغني اللبيب عن كتب الأعاريب (١/ ٦٤،٦٥) وقد ذكر لـ« قد» ستة معاني: (التوقع- التقريب- التحقيق- التقليل- التكثير- النفي).

(٢) انظر منهاج السنة النبوية (٣/ ٣٤١-٣٤٣)، وشرح الطحاوية ص(١٨٨).

القول الثاني: ما عليه الجهمية والمعتزلة، والرافضة تبعٌ لهم، وهؤلاء أنكروا أنَّ الله يُرى، وزعموا أن الرؤية بالأبصار مستحيلة في حقه تعالى كاستحالة الموت عليه والنوم والآفات.

والقول الثالث: قول الأشاعرة: القائم على التلفيق والتخليط بين الحق والباطل، فيزعمون أن الله يُرى لا في جهة، فيقولون: يرى لا فوق، ولا يمين، ولا شمال، ولا أمام، ولا خلف، وهذا كلام غير معقول، حملهم عليه نفيهم العلو عن الله، تعالى الله عن قولهم - وغيرهم من المبتدعة - علواً كبيراً.

[من أدلة أهل السنة على إثبات الرؤية والرد على المخالفين]:

والمذهب الحق هو مذهب أهل السنَّة، القائلين بأن المؤمنين يرون ربهم عياناً بالأبصار، رؤية من غير إحاطة، والأدلة على هذا كثيرة: كقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة]، وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦] وجاء تفسير الزيادة بأنها النظر إلى وجه الله الكريم[1]، وكذلك قوله -تعالى-: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ (٣٥)﴾ [ق]، وقوله - تعالى- في الكفار: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ (١٥)﴾ [المطففين]، ويقتضي

(١) كما في صحيح مسلم (١٨١)، من حديث صهيب رضي الله عنه.

هذا أنَّ المؤمنين بخلاف ذلك، لا يُحجبون عن الله تعالى، بل يرونه سبحانه.

وقد استفاضت السنة الدالة على إثبات الرؤية، ومنها حديث جرير ابن عبد الله ﷺ الذي أشار إليه النَّاظم، وأما الجهمية فأنكروها وتعلقوا بمثل قول الله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَ﴾ [الأنعام:١٠٣]، والآية حجةٌ عليهم لا لهم؛ فإنَّ الإدراك المنفي هو الإحاطة، ونفي الإحاطة نفي لخاصٍ، ونفي الخاص لا يستلزم نفي العام؛ فنفي الرؤية التي معها الإحاطة لا يستلزم نفي الرؤية من غير إحاطة، بل نفي الرؤية مع الإحاطة يستلزم أنَّه يُرى من غير إحاطة؛ لأنه لو كان لا يرى مطلقاً لما كان لنفي الرؤية مع الإحاطة معنى.

ومما استدل به الجهمية كذلك قول الله تعالى لموسى ﵇: ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ [الأعراف:١٤٣]، وقيل في الجواب: ليس في الآية نفيٌ للرؤية بإطلاق، بل نفي لرؤية موسى ﵇ ربه في مقام معين، فقال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، جواباً لسؤال موسى في ذلك المقام: ﴿أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾. وقال المجيبون أيضاً: إنَّ هذه الآية أدل على الرؤية منها على نفيها؛ لأنَّ الله تعالى لم يقل: إنِّي لا أُرى، بل قال: لن تراني إلاّ أن يستقر الجبل، لقوله:

﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي﴾، واستقرار الجبل ممكن، فيلزم إمكان الرؤية.

وقالوا: كان موسى عليه السلام أعلم وأجل من أن يسأل ربه أمراً مستحيلاً عليه سبحانه.

وذكروا وجوهاً أخرى تضمنتها الآية تدل على جواز الرؤية، أثبتها ابن القيم عند كلامه على هذه الآية في باب: رؤية أهل الجنَّة لله -تعالى- من كتابه حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح[1].

ثم قال النَّاظم: (**وعندنا بمصداق ما قلنا حديث مصرِّح**)، أي: وعندنا حجة على الخصم حديث واضح صريح يدل على صدق قولنا، والحق أن عندنا أحاديث متواترة، بل قرآن وإجماع، فالرؤية قد دل عليها الكتاب والسنة والإجماع.

وقوله: (**مصرح**) أي فيه التصريح بالرؤية، وليس لفظاً محتملاً، بل نص صريح لا يحتمل التأويل، قال ﷺ: (إنَّكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر)[2].

---

(١) ص(١٩٧- ٢٤١)، وعامة كلامه منقول من كلام شيخ الإسلام في منهاج السنة (٢/ ٣١٧)، وبيان تلبيس الجهمية (٤/ ٤٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٩)، ومسلم (٦٣٣) من حديث جرير بن عبدالله البجلي رضي الله عنه.

والظاهر أنَّ الشارح مشى على أن لفظ البيت: (**حديث مصَحَّحُ**)[١] أي حديث صحيح، وهو كذلك فالحديث في ذلك صحيح وصريح.

يقول: (**رواه جريرٌ**)، وجرير هو ابن عبد الله البجلي ﷺ، (**عن مقال محمد**) أي يرفعه إلى النَّبي ﷺ.

ثم قال النَّاظم مكملاً: (**فقل مثلما ما قد قال في ذاك تنجحُ**)، والمعنى: قل أيها المسلم مثل ما قال النبي ﷺ في رؤية المؤمنين لربهم، واعتقد ما قال (**تنجح**) أي: تظفر بمطلوبك، فالنجاح الظفر بالمطلوب[٢]، وضده الخيبة والخسران.

---

(١) انظر لوائح الأنوار السنية(١/ ٢٨٠).

(٢) انظر العين للخليل الفراهيدي(٣/ ٨٢).

[مذهب الجهمية في يدي الله ﷻ]

١٠- وقد يُنكر الجهميُّ أيضاً يمينَه وكلتا يديه بالفواضلِ تنفَحُ

[الشرح]:

يتابع النَّاظم ذكر مذهب الجهمية في صفات الله -تعالى-، فبعد أن ذكر مذهبهم في القرآن، وذكر مذهبهم في الرؤية، ذكر في هذا البيت مذهبهم في يدي الرب ﷻ، فقال: (**وقد ينكر الجهمي أيضاً**)، و(أيضاً) تأتي بمعنى كذلك، يقول السفَّاريني في الشرح: أيضاً مصدر: آضَ يَئِيضُ بمعنى رجع[1]، ففيها معنى الرجوع إلى مثل ما سبق كأنَّه يقول: وكذلك، أو مثل ما تقدم.

وقوله: (**يمينه**) أي يمين الرب، فالجهمي ينكر أن تكون لله يمين هي يده، ثم بيَّن المؤلف الحق فقال: (**وكلتا يديه**)، فأثبت لله يدين، وقد دلَّ الكتاب والسنة والإجماع على إثبات اليدين لله؛ فالله -تعالى- له يدان يخلق بهما كما خلق آدمَ بيده، ويأخذ بهما ما شاء كما ثبت في الصحيح، قال رسول الله ﷺ: (يطوي الله ﷻ السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليُمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين بشماله

(١) لوائح الأنوار (١/ ٢٩٨)، وانظر لسان العرب (٧/ ١١٥).

ثم يقول:أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟)[١] ، وشاهد هذا في قوله -تعالى-: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، فالله -تعالى- له يدان لا تُشبه أيدي المخلوقين ولا نعلم كيفيتهما.

[أصول مذهب أهل السنة في الصفات]:

ومذهب أهل السنة والجماعة في صفات الرب يقوم على ثلاثة أصول:

الأول: الإثبات إيماناً بما أخبر الله به أو أخبر به رسوله ﷺ.

والثاني: نفي التمثيل، كما قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

والثالث: نفي العلم بالكيفية، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه].

فمن تمسك بهذه الثلاثة الأصول كان مستقيماً على الحق، في أسماء الله وصفاته.

والقول بهذه الأصول يقتضي أن نثبت لله تعالى يدين لا نتأولهما، ونعلم أنهما لا تماثلان أيدي المخلوقين، ولا نعلم كيف هما فلا نتخيلهما،

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٨٨)، من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

بل كل ما يخطر بالبال من الكيفيات فالله -تعالى- بخلافه، فالفكر قاصر عن تصور كيفية صفات الله – تعالى –، فلا يجوز أن نقول: كيف يدي الرب؟ أو كيف ينزل؟ أو كيف استوى؟ ولمّا قال السائل للإمام مالك: كيف استوى؟ أنكر عليه وقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ولا أراك إلاّ رجل سوء فأَمر به فأُخرج[1].

والأدلة على إثبات اليدين لله تعالى تضافرت من الكتاب والسنة والإجماع.

[الأدلة من الكتاب على إثبات اليدين لله تعالى]:

[أولاً: الأدلة من القرآن]

فمن أدلة القرآن:

١ – قال الله تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، قال ذلك ردّاً على اليهود الذين قالوا: يد الله مغلولة، فقال الله تعالى: ﴿غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة:٦٤]. واليهود لما قالوا: يد الله مغلولة لم يكن غلطهم في إضافة اليد لله، وإنَّما في وصف الله سبحانه

(١) انظر رد الدارمي على الجهمية ص(٦٦)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٨)، وروي أيضاً عن أم سلمة ﵂، انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٩٧).

بالبخل، فهذا هو المنكر من قولهم. وعند الجهمية ومن تبعهم أن نسبة اليد إلى الله من الباطل، ومن التشبيه الذي قال به اليهود.

٢- ومن أدلة القرآن أيضاً قول الله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]، وهاتان الآيتان هما أصرحُ الآيات في الدلالة على إثبات اليدين لله.

وقد جاء ذكر اليدين في مواضع أُخر إما بلفظ الإفراد كقوله-تعالى-: ﴿بِيَدِهِ ٱلۡمُلۡكُ ﴾ [الملك: ١]، أو بلفظ الجمع كما في قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ ﴾ [يس: ٧١]، ولفظ الإفراد لا يدل على أن اليد واحدة فقد يراد به الجنس، ولفظ الجمع لا يدل على أن لله أيدي، فإنَّ هذا الأسلوب لا يفيد هذا المعنى، لأن من قواعد اللسان العربي أن المثنى إذا أضيف إلى صيغة الجمع أو إلى الجمع جُمع[1]، كقوله تعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا ﴾ [القمر: ١٤]، وقوله: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا ﴾ [التحريم: ٤]، وقوله: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾ [المائدة: ٣٨]؛ فالله -تعالى- له يدان كما صرح بذلك في موضعين من القرآن.

[ثانياً: الأدلة من السنَّة].

وأما أدلة السنة فكثيرة منها:

---

(١) وتجوز عندهم التثنية وقد نص ابن جرير وغيره من أئمة اللغة على أن الأفصح الجمع ينظر تفسيره (٧/ ٤١-٤٢)، آية سورة النساء: ١١، وفقه اللغة وأسرار العربية ص(٣٦٢).

حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في صحيح مسلم[١] أنَّ النَّبـي ﷺ قـال: (إنَّ المُقسِطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديـه يمين، الذين يَعْدِلُون في حُكْمِهم وأهليهم وما وَلُوا).

والشاهد قوله: (وكلتا يديه)، فله يدان يمين وشـمال كـما في الحـديث المتقدم عند مسلم[٢].

[معنى كلتا يديه يمين]:

وقوله: (عن يمين الرحمن)، ليس هو معنى: (وكلتا يديه يمـين)، بـل هذه لها دلالة وتلك لها دلالة، فـ(كلتا يديه يمـين) معنـاه أن يمينـه واليـد الأخرى كلاهما ذاتُ يُمْنٍ وخير وبركة، وقد فَرَّقَ القرآن بيـنهما في قولـه: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر:٦٧]، وجاء في تفسير هذه الآيـة مـن الـسنَّة أنَّ الله -تعـالى- يطـوي السماوات بيمينه ويَقبِض الأرض بيده الأخرى، وفي لفظ (بشماله)[٢].

٢-ومن أدلـة إثبـات اليـدين في الـسنة كـذلك مـا جـاء في حـديث الشفاعة: (يا آدم، أنت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه)[٣].

---

(١) (١٨٢٧).

(٢) انظر ص(٦٤).

(٣) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (٣١٦٢)، (٤٤٣٥)، وأنس رضي الله عنه (٦١٩٧).

٣- ومن ذلك حديث ابن مسعود ﷺ في قصة الحبر قال: جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى النَّبي ﷺ فقال: إنَّا نجد أن الله يجعل السماوات على أصبع، والأرضين على أَصبع، والشجر على أصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلائق على أصبع، ويقول: أنا الملك. فضحك النَّبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحَبْر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧](١).

[المذاهب في يدي الله تعالى والرد على المخالفين]:

فأهل السنَّة والجماعة متفقون على إثبات اليدين لله على ما جاء في القرآن وفي السنَّة، وأنكرت الجهمية ذلك على أصلهم في نفي صفات الله كلها، وكذلك المعتزلة ووافقتهم الأشاعرة في نفي أكثر الصفات، واليدان من الصفات التي تنفيها الأشاعرة، فيقولون: ليس لله -تعالى- يدان. ثم يختلفون فمنهم من يُفوِّض النصوصَ، ويقول: هذه النصوص الله أعلم بمراده منها، لا نفسرها ولا نفهمها ولا نتدبرها ولا نفكر فيها، ولا يمكن أحداً أن يفهم منها شيئاً، وهؤلاء هم المفوِّضة من النفاة.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٣٣)، ومسلم (٢٧٨٦).

ومن العجب أنَّهم يزعمون: أنَّ رسـول الله ﷺ لا يعلـم معـاني هـذه النصوص؛ ولهذا يسميهم شيخ الإسلام أهـلَ التجهيـل؛ لأنهـم يُجهِّلـون الرسول ﷺ، ويُجهِّلون الصحابة ﷺ، فقـول الله تعـالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ [الرحمن:٢٧]، وقوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، كـل ذلـك غـير مفهوم المعنى، فلا الرسول ﷺ يعلمه ولا الصحابة ﷺ تعرفه، وهذا ضلال مبين. كل ذلك ليَسْلم لهم باطلهم وهو تعطيل الصفات عن الله، تعـالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

ومن الأشاعرة من يؤول الصفات فيُفسِّرُ اليـد بالقـدرة أو النعمـة، ويقول: إنَّ الله خلق آدم بقدرته. فهل لآدم مزية على سائر الخلق على هـذا التقدير؟ الجواب: ليست لـه خـصوصية، فـالله خلـق كـل شيءٍ بقدرتـه، فتفسير اليد بالقدرة أو بالنعمـة يـذهب بخـصوصية آدم ﷺ وبالفـضيلة التي نوَّه الله بها حين قال لإبلـيس: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥].

والشُبهة العامة عند المعطِّلة هي أنَّ إثبات الـصفات يـستلزم التـشبيه فنفوا كل ما أثبته الله ورسوله من الصفات حذراً من التشبيه.

ورد عليهم أهل السنَّة بقولهم: إذا كـان إثبـات الـصفات لله يـستلزم التشبيه فانْفُوا كل شيءٍ حتى الوجود؛ لأنَّ الإنسان موجـود، فهـل إثبـات

الوجود لله يستلزم التشبيه؟ وقد علموا أن الجواب بالضرورة: لا، فليس وجود الرب كوجود المخلوق، وكذلك حياته فهل إثبات الحياة لله يستلزم التشبيه؟ الجواب: لا، فليس الحي كالحي، وليست حياة الرب كحياة المخلوق، ولا سمعه كسمعه، ولا بصره كبصره، وكذلك الشأن في وجهه ويديه وغضبه ورضاه ومحبته ﷻ، وليس رضاه كرضا المخلوق، ولا محبته كمحبته، ولا استواؤه كاستوائه، وليست يد الرب كأيدي المخلوقين. فالواجب الإثبات مع نفي التمثيل ونفي العلم بالكيفية.

ثم إنَّ المعطِّلة جمعوا بين التعطيل والتشبيه؛ فشبَّهوا أولاً حيث توهموا من صفات الرب ما يماثل صفات المخلوقين، وعطَّلوا ثانياً حيث نفوها، وشبَّهوا ثالثاً حيث شبَّهوا الله بالنَّاقصات والجمادات والمعدومات، والله -تعالى- أعلم بنفسه، وهو الذي أخبر في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بما له من الأسماء والصفات، فأيُ جَهلٍ وأيُّ سَفَهٍ ما يقوله الـمُعَطِّل! يقول على الله ما لا يعلم، ويعارض قولَ الله ورسولِه بما يزعم أنَّه معقول!

فالحاصل: أنَّ من صفاته ﷻ اليدين، فيجب الإيمان بهما على ما جاء في كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ إثباتاً بلا تمثيل، مع نفي العلم بالكيفية. والنصوص الواردة في ذلك على ظاهرها وعلى حقيقتها، وهي نصوص مفهومة؛ فالله تعالى خاطب عباده بلسان عربي مبين، والرسول ﷺ عربي تكلم بكلام مفهوم.

وقول النَّاظم: (**وكلتا يديه بالفواضل تنفح**) أو (**تنضح**) المراد بـه أن كلتا يديه بالعطايا الجزيلة[١] (**تنفح**) يقال: نفحه بكذا أي: أسعده وأسـعفه وأعطاه[٢]. والناظم أخذ هذا من قول الله تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ [المائدة:٦٤].

والبسط يطلق ويراد به ضد القـبض[٣]، والله يقـبض يديـه ويبـسطهما كيف يشاء، كما جاء في أخذه السماوات والأرض، فيقبض الله الأرض يوم القيامة، وفي حديث عبيد الله بن مِقْسَم أنه نظـر إلى عبـدالله بـن عمـر ﵄ كيف يحكي رسول الله ﷺ قال: يأخذ الله ﷻ سماواته وأرضيه بيديه فيقول أنا الله ويقبض أصابعه ويبسطها[٤].

ويطلق البسط ويراد به الجود وكثرة العطـاء[٥]، والله -تعـالى- جـواد كريم، هو أجود الأجودين وأكرم الأكرمين؛ فيداه مبسوطتان بكثرة الجود والعطاء دائماً، وفي الحديث الصحيح: (إن يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة،

---

(١) انظر لسان العرب (٢/ ٦٢٢).

(٢) انظر تاج العروس للزبيدي (٧/ ١٨٩).

(٣) انظر كتاب العين (٧/ ٢١٧).

(٤) سبق ص(٦٤).

(٥) انظر جامع البيان (٦/ ٢٩٩)، وتفسير ابن كثير(٢/ ٧٦)، ولسان العرب (٧/ ٢٥٨).

سَحَّاء الليل والنهار، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السماوات والأرض؟ فإنه لم ينقص ما في يمينه، وعرشُه على الماء، وفي يده الأخرى الفيض، -أو القبض- يرفع ويخفض)[1]، فالله تعالى جواد كريم.

(١) رواه البخاري (٦٩٨٣)، ومسلم (٩٩٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

[مسألة نزول الله ﷻ]

١١- وقُـل ينـزِلُ الجبَّـارُ في كـلِّ ليلـةٍ بـلا كيـفَ جـلَّ الواحـدُ المتمـدِّحُ

١٢- إلى طَبَـقِ الـدنيا يَمُـنُّ بفـضلِه فتُفـرجُ أبـوابُ الـسماءِ وتُفْـتَحُ

١٣- يقـول: ألا مـستغفرٌ يلـقَ غـافراً ومُـستمنِحٌ خـيراً ورزقـاً فيُمـنَحُ

١٤- روى ذاكَ قـومٌ لا يُـرد حـديثُهمْ ألا خـابَ قـومٌ كَـذَّبُوهمْ وقُبِّحـوا

[الشرح]:

هذه أربعة أبيات ضمَّنها النَّاظم إثبات صفة النزولِ الإلهي.

وصفة النُّزول صفة فعلية تتعلق بالمشيئة، فالله ﷻ ينزل إذا شاء، كيف شاء، والثابت في السنة المتواترة[١] هو نزوله إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر.

وصح أيضاً عنه ﷺ قوله: (ما من يوم أفضل عند الله من يوم عرفة، ينزل الله إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل الأرض أهل السماء، فيقول: انظروا إلى عبادي شُعثاً غبراً ضاحين، جاؤوا من كل فج عميق يرجون رحمتي ولم يروا عذابي. فلم يُر يوم أكثر عتقاً من النار من يوم عرفة)[٢].

---

(١) انظر شرح حديث النزول من مجموع الفتاوى (٥/ ٤٧٠)، والعلو للعلي الغفار ص(١٠٠).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٣٨٥٣).

والشاهد في الحديث قوله: (ينزل إلى سماء الدنيا)، وأما ما ورد من النزول ليلة النصف من شعبان فالمعروف أنَّه لم يصح فيه شيء بخصوصه[1]، وإن كان بعض العلماء يورد أحاديثه لكن النزول الثابت المتواتر هو النُّزول الإلهي في ثلث الليل الآخر.

والمهم الإيمان بأنَّ النزول الإلهي واقع ثابت، وكل حديث يصح ويذكر فيه النُّزول يجب الإيمان به، والنُّزول ليس ممتنعاً على الرب بل هو فعل يفعله إذا شاء، كما يجيء يوم القيامة إذا شاء.

والصفات الفعلية هي التي تتعلق بالمشيئة، فكل ما يقال فيه: إنه يكون إذا شاء، كقولهم: ينزل إذا شاء، ويغضب إذا شاء، ويرضى إذا شاء، واستوى على العرش حين شاء، ويجيء إذا شاء، ويخلق ما شاء إذا شاء، فهو صفة فعلية.

فالضابط المميز بين الصفات الذاتية والصفات الفعلية:

أن الذاتية هي التي لا تتعلق بها المشيئة، وهي لازمة لذات الرب تعالى.

والفعلية هي التي تتعلق بها المشيئة، ولا تكون لازمة لذاته أزلاً وأبداً. فصفة النزول من الصفات الفعلية، ومن القول المأثورعن الفضيل

---

(١) انظر فيض القدير (٢/ ٣١٧)، وخالف في ذلك بعضهم انظر الرفع والتكميل ص(١٩٧).

ابن عياض رحمه الله: «إذا قال لك الجهمي أنا كفرت برب يزول عن مكانه -يشير إلى صفة النزول-، فقل أنت: أنا أومن برب يفعل ما يشاء»(١)، وهذا الرد موجز بليغ.

قال الناظم: (**وقل: ينزل الجبَّار**) والمعنى قل أيها السنِّي بقلبك ولسانك إقراراً وإيماناً: ينزل الله كما قال الرسول ﷺ: (ينزل ربنا)(٢)، والجبَّار اسم من أسماء الله مذكور في سورة الحشر(٣).

وقوله: (**في كل ليلة بلا كيف**) أي بلا كيفية نعلمها، فلا تقل كيف ينزل.

ويجب أن نتنبَّه إلى أنَّ قول الأئمة: «بلا كيف» ليس نفياً منهم للكيفية، فلا يقال: ينزل بلا كيفية، أو ليس لنزوله كيفية، وإنَّما مرادهم نفي العلم بالكيفية.

وقول الناظم: (**جلَّ الواحد**) تنزيهٌ؛ أي عَظُمَ شأنُ الواحدِ سبحانه وتعالى عن مماثلة المخلوقات، وعن كل نقص وعيب، و(**الواحد**) اسم من أسماء الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد:٣٦]، و(**المتمدِّح**) هو الذي يَتَمَدَّح بذكر محامده وصفات كماله، وفي الحديث الصحيح: (لا أحد أحب

(١) انظر الإبانة (٦/ ١٧٧)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٥٢).

(٢) صحيح البخاري (١٠٩٤)، ومسلم (٧٥٨).

(٣) آية: ٢٣.

إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه)(١) ، وقد أثنى سبحانه على نفسه في كتابه وفيما أخبر به رسول الله ﷺ.

وقوله: (**إلى طَبَق الدنيا**) يريد السماء الدنيا، سمَّاها طبقاً أخذاً من القرآن، ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك:٣]، أي: طبق فوق طبق، والذي يظهر أنَّ قوله: (**طبق الدنيا**) من باب إضافة الموصوف إلى الصفة أي إلى الطبق الدنيا.

وقوله: (**يمُنُّ بفضله**) أي ينزل ليمُنَّ بفضله على عباده ﷻ. (**فتفرَجُ أبوابُ السماءِ وتُفتحُ**): بالعطاء والبذل.

وقوله: (**ألا مستغفرٌ يلقَ غافراً**) أي هل من مستغفر؟ وقد جاء في بعض ألفاظ الحديث (هل من مستغفر)(٢)، والنَّاظم هنا نظم معنىً جاء في الصحيحين وغيرِهما، من قوله ﷺ: (ينزل ربنا إلى السماء الدنيا كل ليلة حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)(٣).

---

(١) رواه البخاري (٤٣٥٨)، ومسلم (٢٧٦٠) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم(٧٥٨=١٧٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (١٠٩٤)، ومسلم(٧٥٨ = ١٦٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقوله: (يلقَ غافراً) أي يجد الله غافراً، قال الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [النساء].

وقوله: (**ومُستمنِحٌ خيراً ورزقاً فيُمنَحُ**)[١] المُستمنِح: هو الطالب للمنح، والمنحة: العطية والنعمة[٢].

وهذا المعنى أخذه من قوله ﷺ: (مَن يدعوني فأستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له)[٣].

فذكر الدعاء العام الشامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة، ثم الخاصِّ وهو قوله: (من يسألني فأعطيه)، ثم ذكر دعاءً أخص وهو سؤال المغفرة: (من يستغفرني فأغفر له) فذكر العامَّ ثم الخاصَّ ثم الأخصَّ.

[مذاهب الناس في نزول الرب تعالى]:

والنزول الإلهي قد تواترت به الأخبار عن النَّبي ﷺ، ورواه عنه جمع من الصحابة، وأجمع على الإيمان به أهل السنَّة والجماعة، فأهل السنَّة يؤمنون بأنَّ الله تعالى ينزل حقيقةً لا مجازاً إلى السماء الدنيا كيف شاء، ويؤمنون بما أخبر به النبي ﷺ، فيُثبتون لله النزول ويَنفون عنه المماثلة، ينزل

---

(١) وفي نسخة: (فأمنح). انظر طبقات الحنابلة(٢/ ٥٣).

(٢) انظر لسان العرب(٢/ ٦٠٧)، والقاموس المحيط (١/ ٣١٠).

(٣) سبق تخريجه ص(٧٧).

لا كنزول الخلق، نزولاً لا نعلم كيفيته. والنزول معناه معروف، وهو قرب من جهة العلو، وأحاديث النزول يَستدِل بها أهل السنَّة على إثبات النزول، وهي كذلك من أدلتهم على العلو؛ لأنَّ النُّزول إنَّما يكون من علو، فمن ينفي علوَّ الله لا يمكن أن يثبت له نزولاً أبداً، أما أهل السنَّة فيُثبتون العلو لله، ويُثبتون النزول، ويُثبتون أنه تعالى فوق مخلوقاته مستوٍ على عرشه، على ما يليق ويختص به.

وأنكرت الجهمية والمعتزلة والأشاعرة حقيقة النزول، أما الجهمية: فهم أئمة المعطلة ينفون الأسماء والصفات جميعاً، والمعتزلة: يثبتون الأسماء وينفون الصفات، والأشاعرة يثبتون الصفات السبع- كما هو المشهور عنهم-، وينفون سائر الصفات ومن ذلك النُّزول، وطريقة الجميع واحدة، لكن يختلف موقفهم من النُّصوص، فمنهم من سلك طريق التفويض-أي ينفي إمكان معرفة معانيها، ويقول: إنَّما تعبَّدنا الله بتلاوتها، تلاوة القرآن-، ومنهم من سلك طريق التَّأويل والتَّحريف.

وأما موقفهم من الأحاديث فمن ادَّعى منهم أنَّها آحاد يقول: هذه آحاد لا تثبت بها العقائد -بزعمه- فيردها من أصلها، وإذا لم يستطع ذلك وأُقيمت عليه الحجة بأنَّها متواترة يَفِرُّ إلى أحد طريقين:

الأول: التَّفويض فيقول: هذه نصوص من النوع المتشابه التي لا يفهم أحد معناها؛ فيجب التفويض والإمساك عن الكلام فيها.

الثاني: طريق التَّأويل، فيقول: تنزل رحمته، أو ينزل ملك من الملائكة، بناء على أصلهم الفاسد في نفي قيام الأفعال الاختيارية به ﷻ، فيتأولون صفة النزول بنحو هذا التأويل، الذي حقيقته التحريف، وهم يسمونه تأويلاً.

والتَّأويل منه ما هو حق ومنه ما هو باطل، وتأويلاتهم لهذه النصوص من تحريف الكلم عن مواضعه الذي ذم الله به اليهود، قال الله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، وهو صرف اللفظ عن ظاهره إلى غيره بغير حجة يجب المصير إليها.

وهذه التأويلات التي ذكروا للحديث خلاف الظاهر، ثم هل يجوز أن يُخاطب المَلَكُ العبادَ فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني؟ من يستغفرني؟! أو هل تقول ذلك الرحمة؟ هذا لا يجوز في عقل مسلم يُعظِّم الله.

وهذا التحريف باطل جُمِعَ إلى باطل، فجمعوا بين التعطيل والتحريف، فنفوا حقيقة النزول عن الله، وحرَّفوا النصوص لدفع معارضتها لأصولهم.

والواجب الإيمان بأنَّه -تعالى- ينزل كل ليلة في الثلث الأخير من الليل كما أخبر الصادق المصدوق، ونقول: آمنَّا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله.

وقد تلقى الصحابة والتابعون لهم بإحسان ذلك بالقبول، ولم يعارضوه بخيالات وأوهام وتقديرات وتساؤلات، لكن لما ظهرت بدعة التعطيل والتجهم، جاءت المشكلات، وجاءت التساؤلات.

وطريق النَّجاة والسلامة الإيمان والتسليم بما أخبر به الرسول ﷺ فهو الصادق المصدوق، أعلمُ النَّاس بربه، فيجب ترك معارضته بأيِّ معقول.

وكل التساؤلات التي تخالج النفوس حول النزول، أو يتكلَّم بها من يتكلَّم، منشؤها قياس الخالق على المخلوق، فطريق الخلاص هو استشعار أنَّ الله ليس كمثله شيء، وأنَّه لا يقاس بخلقه، فليس نزول الخالق كنزول المخلوق، وإذا استحضر المسلم هذا واستقر في نفسه اندفع عنه كُلُّ شكٍ.

وقد شرح شيخ الإسلام ابن تيمية حديث النزول في كتاب معروف[1]، وذكر فيه الأحاديث والروايات والمذاهب في موضوع النزول، وذكر كل ما يتصل بهذه المسألة العظيمة. وفي هذا الكتاب ذكر بعض الشبه التي ترد في عقول بعض الناس ويتكلم بها، مثل قضية اختلاف الليل والنهار من مكان إلى مكان وهل يستلزم دوام النزول، وسؤال: متى ينزل؟ وكيف يكون النزول؟ وما أشبه ذلك من الخلجات والأفكار والوساوس.

---

(١) طبع عدة طبعات من قبل المكتب الإسلامي، وله طبعات أخرى، وقد أخرج في مجلد بتحقيق د. محمد الخميس، ط دار العاصمة،وهو في مجموع الفتاوى (٥/ ٣٢١-٥٨٢).

وقول الناظم: (**روى ذاك قوم**) يشير إلى حديث النزول وما تضمنه.

وقوله: (**لا يُرَدُّ حديثُهم**) أي رواه الثقات الذين لا يجوز رَدُّ حديثهم.

وقوله: (**ألا خاب قوم كذبوهم وقبحوا**) أي حرموا الخير ومنعوه وأبعدوا، وهذه كلمات من النَّاظم في ذمِّ أولئك المعطِّلة نفاة الصفات الذين أنكروا نزول الرب ﷻ وردوا الأحاديث الصحيحة، إما تكذيباً لها، وإما تأويلاً وتحريفاً لها، بل ردُّوا نصوص القرآن وحرَّفوها تمسُّكاً بأصولهم الباطلة، واعتماداً على استدلالاتهم وشبهاتهم وحججهم الداحضة.

[فضل الصحابة وتفاضلهم ومحبتهم]

١٥- وقل إنَّ خيرَ الناسِ بعد محمَّدٍ وزيراه قُدْماً ثم عثمانُ الأرْجَحُ

١٦- ورابعُهم خيرُ البَرِيَّة بَعْدَهُمْ عليٌّ حليفُ الخيرِ بالخيرِ مُنْجِحُ

[الشرح]:

بعدما ذكر النَّاظم بعض المسائل المتعلقة بصفات الرب ﷻ انتقل إلى ما يجب اعتقاده في الصحابة.

والواجب في أصحاب رسول الله ﷺ الإيمانُ بفضلهم وتفاضلهم، ومحبتُهم، وإنزالُ كلٍ منهم منزلته، والكفُّ عما شجر بينهم، ومعرفة أقدارهم، والثناءُ عليهم، والدعاءُ لهم ﷺ وأرضاهم.

[الأدلة على فضل الصحابة ﷺ]:

[أولاً: الأدلة من القرآن الكريم]

و أدلة فضل الصحابة في القرآن كثيرة منها[1]:

قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة]، وقوله: ﴿لِلْفُقَرَآءِ

---

(١) انظر في تقرير أوجه الاستدلال بالآيات الصارم المسلول (٣/ ١٠٦٧-١٠٧٤).

ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[الحشر].

[ثانياً: الأدلة من السنة].

ودلت السُّنة على فضلهم عموماً وخصوصاً، أما العموم كقوله ﷺ: (خير النَّاس قرني)(١) ، وقوله ﷺ: (لا تسبُّوا أصحابي؛ فلو أنَّ أحدكم أنفق مثلَ أحدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه)(٢).

وهم متفاضلون وقد جاءت النُّصوص أيضاً في تفضيل أعيان منهم وجماعات بخصوصهم؛ فيجب الإيمان بالفضل العامِّ لهم وبالفضائل الخاصَّة لبعضهم. وأفضلهم على الإطلاق أبوبكر ﷺ باتِّفاق أهل السنَّة؛ فهو أسبق السابقين إلى الإسلام، وهو الصاحب الأول للنَّبي ﷺ الذي نوَّه الله تعالى بصحبته في القرآن فقال: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ

(١) أخرجه البخاري(٢٥٠٩)، ومسلم(٢٥٣٣) من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري(٣٤٧٠) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ واللفظ له، ومسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة ﷺ، وزاد في أوله: (فوالذي نفسي بيده).

يَـقُولُ لِصَـٰحِبِـهِۦ لَا تَحْـزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَـا ﴾ [التوبـة: ٤٠]، فحَظُّـه مـن الصحبة أوفرُ وأكملُ من غيرِهِ رضي الله عنه[١].

ومن أدلة السنة على فضله وتقدمه أن النبـي ﷺ اسـتخلفه في مـرض موته ليصلي بالنَّاس وقال: (مُروا أبا بكر فليـصلِّ بالنَّـاس)[٢]، وقـد اتَّفـق الصحابة على تقديمه في الخلافة.

ومن بعده عمـر رضي الله عنه في الفـضل باتِّفـاق أهـل الـسنَّة[٣]، وقـد وردت أحاديث كثيرة في فضله وفضل أبي بكر رضي الله عنهما، ومن ذلك: أنَّ علياً رضي الله عنه قـال: كثيراً ما سمعت الرسول ﷺ يقول: (جئت أنا وأبـوبكر وعمـر، ودخلـت أنا وأبوبكر وعمر، وخرجت أنا وأبوبكر وعمر)[٤]، ومـن ذلـك أيـضاً أنَّ النَّبي ﷺ قال: (أُريتُ في المنام أنِّي أنزِع بدلو بَكْرَةٍ على قَلِيْبٍ، فجاء أبوبكر فنزع ذنوباً أو ذنوبين نزعاً ضعيفاً والله يغفر له، ثم جاء عمر بـن الخطـاب فاستحالت غَرْباً، فلم أرَ عبقرياً يَفْرِي فَرِيَّه حتـى رَوِيَ النَّـاس، وضربـوا

(١) انظر في تقرير أوجه الاستدلال بالآية، والرد على الرافضة تفسير الفخر الرازي للآية.

(٢) أخرجه البخاري(٦٣٣)، ومسلم (٤١٨)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) انظر العقيدة الواسطية من مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٣)، وتوضيح مقاصدها ص(٢٦٠).

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٨٢)، ومسلم (٢٣٨٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

بعَطَن)[١] ، ومن ذلك حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: (كنَّا نقول ورسولُ الله ﷺ حيٌّ: أفضل هذه الأمة بعده، أبوبكر ثمَّ عمر ثمَّ عثمان)[٢].

ومن بعد الخليفتين عثمان رضي الله عنه الخليفة الراشد، ومن بعده الخليفة الراشد علي رضي الله عنه.

[الخلاف في المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما]:

أما أبوبكر وعمر فاتَّفق أهل السنَّة على تقديمهما سلفاً وخلفاً، وأما عثمان وعلي فقد كان هناك خلاف بين السلف، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في العقيدة الواسطية: «فقدم قوم عثمان وسكتوا، أو ربعوا بعلي، وقدم قوم علياً، وقوم توقفوا، لكن استقرَّ أمرُ أهلِ السنَّة على تقديم عثمان»[٣]. فصارت المفاضلة بين عثمان وعلي عند أهل السنَّة قديماً على ثلاثة مذاهب:

الأول: تقديم عثمان، **والثاني**: تقديم علي، **والثالث**: التوقف.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٩)، ومسلم (٢٣٩٣)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه أبوداود(٤٦٢٨)، والترمذي (٣٧٠٧)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه»، وانظر صحيح الترمذي للألباني (٢٩٢٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٣)، وانظر توضيح مقاصد الواسطية ص(٢٦٠، ٢٦١).

و يدل للقول الأول حديث ابن عمر رضي الله عنهما في البخاري[1].

والذي استقر عليه قول أهل السنَّة والجماعة أنَّ الخلفاء الراشدين ترتيبهم في الفضل على ترتيبهم في الخلافة، وبهذا يُعلم الفرق بين تفضيل علي على عثمان، وتفضيل علي على أبي بكر وعمر، وأنَّ الأخير مذهب الشيعة من الرافضة والزيدية، وهو المنكر والبدعة المخالفة للسنن الصحيحة.

أما مسألة تفضيل علي على عثمان فليست مما يبَّدع القائل بها، لكن الذي يُنكَر هو الطَّعن في خلافة عثمان، فيجب الاعتراف بأنَّ خلافته خلافة راشدة، وأنَّ الأربعة جميعاً هم الخلفاء الراشدون، وإذا أُطلِقُ لفظ الخلفاء الراشدين انصرف إلى هؤلاء الأربعة.

وهؤلاء الأربعة هم أفضل الصحابة على الإطلاق[2].

ومن فضائل علي رضي الله عنه قوله ﷺ في غزوة خيبر: (لأُعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله)، فلـمَّا أصبحوا غدوا على

---

(١) (كنا في زمن النبي ﷺ لا نَعْدِلُ بأبي بكرٍ أحداً ثم عمر ثم عثمان ثم نترك أصحاب النبي ﷺ لا نفاضل بينهم)، ورقمه: (٣٤٩٤).

(٢) ومن فضائل عثمان رضي الله عنه قوله ﷺ: (أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ)، أخرجه مسلم (٢٤٠١) من حديث عائشة رضي الله عنها.

رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يُعطاها، فقال: (أين علي بن أبي طالب)[١]؟

فهؤلاء هم خير النَّاس، لأنَّهم خير هذه الأمَّة، وإذا كانت هذه الأمة هي خير الأمم فالنتيجة أنَّ أبا بكر وعمر هم خير النَّاس بعد الأنبياء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن نظر في سيرة القوم بعلم وبصيرة، وما منَّ الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنَّهم خير الخلق بعد الأنبياء، لا كان ولا يكون مثلهم»[٢].

وقول الناظم: (**وقل إنَّ خير النَّاس بعد محمد**) أي: وبعد الأنبياء، وإذا قال بعد نبيهم، فإنه يتعين أن يكون التقدير: خير هذه الأمة بعد نبيها، وهذا أولى لقوله: (**بعد محمد**)، لكن إذا قلنا: إنهم خير الناس عموماً، فالمراد بعد الأنبياء.

وخير الناس بعد محمد ﷺ وزيراه أبوبكر وعمر، وقال: إنَّهما وزيراه؛ لأنَّهما العضدان والمعينان له؛ وكانا ملازمين له، كما في حديث علي المذكور آنفاً[٣].

قال: (**وزيراه قُدماً ثم عثمان الارجح**)، (**قُدْماً**) أي: أولاً، (**ثم عثمان الارجح**)، وهذا تقرير من النَّاظم لما استقر عليه مذهب أهل السنَّة

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٧) من حديث سهل بن سعد رضي الله عنهما، وبنحوه من حديث ابن الأكوع رضي الله عنه، (٢٨١٢)، وحديث سلمة عند مسلم أيضاً (٢٤٠٧).

(٢) العقيدة الواسطية من مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٦)، وانظر توضيح مقاصدها ص(٢٧٣).

(٣) سبق تخريجه ص (٨٥).

والجماعة من تقديم عثمان على علي رضي الله عنهما، **(وعثمان الارجح)** أي أنَّـه أفـضل ممن سواه من الصحابة بعد أبي بكر وعمر.

قال: **(ورابعهم خير البرية بعدهم)**، فخير الخليقة في الفضل بعـد أبي بكر وعمر وعثمان هو رابع الخلفاء الراشدين علي رضي الله عنه، وهو ابن عم رسول الله ﷺ، وزوج ابنته، وأبوالسِّبْطَين، صاحب المناقب الكثـيرة، وقـد أشـار الناظم إلى بعض فضائله فقال: **(حليفُ الخير)** أي الملازم للخـير؛ للعلـم، والعمل الصالح، والجهاد في سبيل الله، والدعوة إلى الله. **(بـالخير مُـنجحُ)** من النجاح، وهو تحصيل المقصود والظفر به.

[فضل العشرة المبشرين بالجنة]

١٧- وإنَّهـمُ والـرَّهْطَ لا رَيْـبَ فـيهمُ　　عَـلَى نُجُـبِ الفِـرْدَوسِ بالخُلْـدِ تَـسْرَحُ

١٨- سعيدٌ وسعدٌ وابنُ عوفٍ وطلحةٌ(١)　　وعـــامرُ فِهْـــرٍ والـــزبيرُ المُمَـــدَّحُ

[الشرح]:

ينوِّه النَّاظم في هذا البيت بما أعد الله لهؤلاء الرهط وأمثالِهم من النَّعيم المقيم، قال: (**وإنَّهم**) وهـذا الـضمير يعـود إلى مـن تقـدم ذكـرهم، ونـوّه بمنزلتهم، وهم الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم، وتقدَّم ذكر مـذهب أهل السنَّة والجماعـة فـيهم، وقولـه: (**وإنَّهـم للـرهطُ**)، أو (**والـرهطَ**)، أو وإنَّهم (**الرهطُ**)؛ كلها اختلافات في رواية البيـت، والتفعيلـة يـستقيم بهـا الوزن على جميع الروايـات، ولعـلَّ الـصواب المُتَعـيِّن هـو قولـه: (**وإنَّهـم والرهطَ**) عطفاً بالواو؛ لأنَّ النَّاظم فَسَّر الرهط في البيت الذي بعـده ببقيـة العشرة.

و(**الرهط**): اسم جمع لا واحد له من لفظه يطلق على عدد معـين مـن الثلاثة إلى العشرة في المشهور(٢).

---

(١) صرف لأجل الوزن.

(٢) انظر لسان العرب (٧/ ٣٠٥).

وقوله: (**لا ريب فيهم**) أي: لا شكَّ في فضلهم، أو لا شكَّ في أنَّهم على نُجُب الفردوس، وكأنَّه يشير إلى أنَّهم مبشرون بالجنَّة.

وقوله: (**على نُجُبِ الفردوس**) النُّجب جمع نجيبة، وهي: الراحلة القوية[1] الحسنة الجميلة، و(**الفردوس**): اسم من أسماء الجنَّة، أو اسم لدرجة من الجنَّة، وهي أعلى الجنَّة؛ قال ﷺ: (إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تَفَجَّرُ أنهارُ الجنة)[2]، وقد جاء ذِكر الفردوس في القرآن: ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١ ﴾ [المؤمنون].

فهؤلاء الصحب ﷺ (**على نُجُب الفردوس بالخلد تسرحُ**)، ومن نعيم أهل الجنَّة أنَّهم يركبون النَّجائب، ويسيرون عليها، ويسرحون في طول الجنَّة وعرضها، والجنَّة فسيحة واسعة ينطلق فيها أهلها، ويتمتعون بما أعد الله لهم فيها، والحديث عن الجنَّة في القرآن وفي السنَّة مُستفِيض وكثير، نسأله ﷻ أن يجمعنا والصحابة في جنات النَّعيم بِمَنِّهِ وكرمه.

---

(١) انظر لسان العرب (١/ ٩٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٣٧)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

والجنَّة والنار مما يجب الإيمان به كما في حديث عبادة بن الصامت ﵁: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله، وأنَّ عيسى عبد الله ورسوله، وكلمتُه ألقاها إلى مريم وروحٌ منه، والجنَّة حق، والنَّار حق، أدخله الجنَّة على ما كان من العمل)[1].

والله تعالى يُرَغِّب عباده في الإيمان والتقوى والعمل الصالح بذكر ما أعد لهم من النَّعيم المقيم: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [البقرة]، وهذا المعنى يُثَنَّى في القرآن كثيراً بألفاظ متنوعة، وكذلك وعيدُ أهلِ النَّار، والله يجمع بينهما فيقرن بين ذكر الجنة والنار كما في قوله تعالى: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾ [الشورى]، وقوله: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [البقرة]، إلى غير ذلك من الآيات.

والحاصل أن قول الناظم:

---

(١) أخرجه البخاري(٣٢٥٢)، ومسلم(٢٨).

وإنَّهُمْ والرَّهْطَ لا ريبَ فيهمُ على نُجُبِ الفردوس بالخلد تسرحُ

يشير فيه إلى ما ورد في حق العشرة المبشرين بالجنَّة رضي الله عنهم وأرضاهم، وهم: أبوبكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وسعيد بن زيد، وسعد ابن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وأبوعبيدة ابن الجراح، والزبير بن العوام، رضي الله عنهم أجمعين.

[التعريف ببقية العشرة وفضائلهم ﷺ]:

وقد ذكر الأربعة الأُوَل في الأبيات الماضية، وذكر بقية العشرة في البيت التالي، فقال توضيحاً للرهط في قوله: (**والرهطَ لا ريب فيهمُ**):

سعيدٌ وسعدٌ وابنُ عوفٍ وطلحةٌ وعامرُ فِهْرٍ والزُّبير المُمَدَّحُ

ووجه رفع سعيد وما عطف عليه أنها خبر لمبتدأ محذوف، والتقدير: هم سعيدٌ... إلخ.

وهؤلاء ستة؛ فأمَّا (**سعيد**): فهو سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، يلتقي مع أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه في جده نفيل[1].

و(**سعد**)[2] هو ابن أبي وقاص القائد المشهور الذي قاد المعارك في الفتوح الإسلامية، واسم أبيه مالك، فهو سعد بن مالك بن أهيب ابن

(١) انظر الاستيعاب (٢/ ٦١٥)، والإصابة (٣/ ١٠٣).

(٢) الاستيعاب (٢/ ٦٠٦)، والإصابة (٣/ ٧٣).

عبد مناف بن زهرة بن كلاب القرشي، من بني زُهرة، يلتقي مع النبـي ﷺ في كلاب أحد أجداد النبي ﷺ، والد قُصي.

و(**ابن عـوف**)[١] هـو عبـد الـرحمن بـن عـوف بـن عبـد عـوف ابـن عبدالحارث بن زهرة بن كلاب، الزهـري القـرشي وهـو الـذي قـال فيـه الرسول ﷺ لما اختصم خالد بن الوليد معه: (لا تسبوا أصـحابي؛ فوالـذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيْفَه)[٢] يريد عبدَ الرحمن وأمثاله من السابقين الأولين.

و(**طلحة**)[٣] هو ابن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مـرة بـن كعـب بـن لـؤي بـن غالـب القـرشي صـاحب المواقـف والفضائل، وهو الذي كان مع النَّبي ﷺ في وقعة أُحد، وكـان يـذبُّ عنـه، وكان يقي الرسول ﷺ النبـل بيـده، ويناضـل عنـه حتـى أُصـيب فَـشُلَّت إصبعه في سبيل الله[٤]، نصرة لرسول الله ﷺ.

---

(١) الاستيعاب (٢/ ٨٤٤).

(٢) سبق تخريجه ص (٨٤).

(٣) الاستيعاب (٢/ ٧٦٤)، والإصابة (٣/ ٥٢٩).

(٤) الاستيعاب (٢/ ٧٦٥) .

و(**عامر فِهْرٍ**)[1]: يريد به عامر بني فهر، فهو فهري، كما تقول: أبوبكر تيمي من بني تيم، وعمر عدوي، وعثمان أُموي، وعلي هاشمي، وكـذلك عامر فهر فهري، وهو أبوعبيدة عامر بن عبدالله بن الجراح بن هـلال ابـن ضبة بن الحارث بن فهر القرشي، وهو الـذي قـال فيـه الرسـول ﷺ: (إنَّ لكل أمةٍ أميناً، وإن أميننا أَيَّتُها الأمة أبوعبيدة بن الجراح)[2].

وفِهْرٌ أحد أجداد النَّبي عليه الصلاة والسلام، ولعلـه الجـد العـاشر، فرسول الله ﷺ هو محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف ابن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر، والمـشهور أنَّه هو الذي لُقب بقريش.

ثم ذكر الناظم آخر العشرة (**الزُّبَيْر**)[3]، وهـو الـزبير بـن العـوام ابـن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسدي، الـذي قـال فيـه الرسول ﷺ: (إنَّ لكل نبيٍّ حوارياً، وحواريِّ الزبير)[4].

---

(١) الاستيعاب (٢/ ٧٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٣٤)، ومسلم (٢٤١٩)، من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٣) الاستيعاب (٢/ ٥١٠).

(٤) أخرجه البخاري (٢٦٩١)، ومسلم (٢٤١٥)، من حديث جابر بن عبدالله ﷺ.

ولكل منهم فضائل خاصَّة اختُص بها ووردت في حقه، وهي مدونة في كتب السنَّة وفي كتب العقائد، وتراجم الصحابة، وهذه البشارة بالجنَّة فضيلة مشتركة بينهم فرضي الله عنهم وأرضاهم.

وقد ثبت عن النَّبي ﷺ أنَّه بشرهم بالجنَّة وجمعهم في حديث واحد فقال ﷺ: (أبوبكر في الجنَّة، وعمر في الجنَّة، وعثمان في الجنَّة، وعلي في الجنَّة، وطلحة في الجنَّة، والزبير في الجنَّة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنَّة، وسعد في الجنَّة، وسعيد في الجنَّة، وأبوعبيدة بن الجراح في الجنَّة)[1].

ولمَّا روى سعيد بن زيد هذا الحديث عن النَّبي ﷺ عدَّ تسعة وسكت، فسُئل: مَن العاشر؟ فقال:سعيد، أو قال:أنا، فرضي الله عنهم وأرضاهم.

فيجب أنَّ نشهد لهؤلاء العشرة بأسمائهم وبأعيانهم بأنَّهم في الجنَّة تصديقاً لخبر الرسول ﷺ، وقد علم هؤلاء العشرة أنَّهم في الجنَّة بخبر الرسول ﷺ وعلم النَّاس، ولم تزدهم هذه البشارة إلا جِدَّاً واجتهاداً في طاعة الله، وفي الأسباب الموصلة إلى الجنَّة، ولم يوجب لهم ذلك فتورالعزائم، والاتكال على هذه البشارة، فليس هؤلاء من الذين قال

(١) أخرجه الإمام الإمام أحمد (١٦٤٤)، أبوداود (٤٦٤٩) من حديث سعيد بن زيد رضي الله عنه، والترمذي(٣٧٤٧) واللفظ له من حديث عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٩٤٦).

فيهم الرسول ﷺ: (لا تبشرهم فيتكلوا)[1]، فهؤلاء لا يتكلون على ما ورد في حقهم من الخبر الصادق، والوعد المُحقَّق المُتيَقَّن.

وقد ورد هذا الحديث في حق هؤلاء العشرة، ثم إنَّ لبعضهم بشارات خاصَّة مثل: أبي بكر، وعمر، وعثمان، كما جاء في الحديث الصحيح عن أبي موسى ﵁ قال: (كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة، فجاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: (افتح له وبشره بالجنة). ففتحت له فإذا هو أبوبكر، فبشرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله، ثم جاء رجل فاستفتح، فقال النبي ﷺ: (افتح له وبشره بالجنة). ففتحت له فإذا هو عمر، فأخبرته بما قال النبي ﷺ، فحمد الله، ثم استفتح رجل فقال لي: (افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه). فإذا عثمان، فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله ثم قال: الله المستعان)[2].

وهؤلاء العشرة هم أفضل الصحابة على الإطلاق، والأربعة الخلفاء أفضلهم، وقد تقدم[3] أنَّ ترتيبهم في الفضل على ترتيبهم في الخلافة، وأن هذا هو الذي استقر عليه مذهب أهل السنَّة والجماعة.

وأما الستة فهم أفضل الصحابة بعد الأربعة، ولا ترتيب بينهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠١)، ومسلم (٣٠) من حديث معاذ بن جبل ﵁.

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٩٠)، ومسلم(٢٤٠٣) من حديث أبي موسى الأشعري ﵁.

(٣) ص(٨٧).

والواجب الإيمان بما لهم من الفضائل، وإنزالهم منازلهم؛ فنعرف منزلة أبي بكر في الأُمَّة، ومنزلة عمر، ومنزلة عثمان، ولا نسوي بين من فاضل الله بينهم، فالله فضَّل بعض الأنبياء على بعض كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء:٥٥]، وكذلك فاضل بين الصحابة ففضَّل بعضهم على بعض.

[فضل أبناء النَّبي ﷺ وسبطيه رضي الله عنهم]

١٩- وسِبْطَيْ رسولِ الله وابنيْ خديجةٍ[1] وفاطمــةَ ذاتَ النقــاءِ تَبَحْــبَحُ

[الشرح]:

هذا البيت لم يثبته السفَّاريني. يقول: (**وسبطي**) بالنَّصب، ومقتضى السياق أن يقول: (**وسبطا**)، (**وابنا**)، لأنَّ الأسماء التي قبلها خبر مبتدأ محذوف تقديره: هم سعيد وسعد إلى آخره، وعلى الحالين الوزن لا يختلف.

ويجوز أن يكون المراد: وأمدح سبطي رسول الله ﷺ وابني خديجة، والمراد بهما الحسن والحسين ابنا علي وفاطمة رضي الله عنهم، فالذي يظهر أنَّه يريد بالسبطين والابنين الحسن والحسين، أمَّا سبطا رسول الله فهذا لا شك فيه، لكن قوله: (**وابني خديجة**) يحتمل -وفيه بُعد- أنَّه يريد ابني الرسول ﷺ القاسم وعبدالله، وقد ذكر أهل السير أنهما ماتا في الصغر وهما من خديجة؛ فإن خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها هي أم أولاده[2]، ولم يولد للنَّبي ﷺ من غيرها

(١) صرف لأجل الوزن.

(٢) انظر سيرة ابن إسحاق (٢/ ٦٠-٦١)، وتاريخ الأمم والملوك (١/ ٢٥١).

إلا ابنه إبراهيم من سُرِّيَّتِه مارية رضي الله عنها، وإلا فأولاد رسول الله ﷺ كلهم من زوجته الأولى خديجة بنت خويلد رضي الله عنها.

والذي يظهر أنَّ قوله: سبطي رسول الله وابني خديجة يريد به الحسن والحسين باعتبارهما ابني بنتها.

وقوله: (**وفاطمة ذات النقاء تبحبح**): يعني فاطمة بنت رسول الله ﷺ، (**ذات النقاء**)، أي ذات الطهر، وقوله: (**تبحبح**)، أي توسط وتمكَّن، والمراد التنويه بمقامها في الطهر والنقاء، ولفاطمة رضي الله عنها منه ﷺ المنزلة العظيمة، ولهذا قال: (يا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً)[١] ، وقال: (فاطمة بَضْعَةٌ منِّي فمن أغضبها أغضبني)[٢].

وجاء في شأنها أنَّها سيدة نساء أهل الجنَّة[٣]، فهي وأمُّها، وعائشة رضي الله عنهن، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون، هؤلاء الخمس هنَّ أفضل نساء العالمين[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٠٢)، وانظر مسلم (٢٠٥)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥١٠)، ومسلم (٢٤٤٩) بلفظ: (يؤذيني ما آذآها)، من حديث المِسوَر بن مخرمة رضي الله عنهما.

(٣) أخرجه البخاري (٥٩٢٨)، ومسلم (٢٤٥٠) من حديث عائشة رضي الله عنها، وقد علقه البخاري في غير باب من كتاب فضائل الصحابة من الصحيح، (١٢) مناقب قرابة الرسول ومناقب فاطمة، و(٢٩) مناقب فاطمة رضي الله عنها.

وأما الحسن والحسين فهما سبطا رسول الله ﷺ، وجاءت في فضلهما أحاديث، ومن فضلهما محبة الرسول ﷺ لهما[٢]، واحتضان لهما صغاراً[٣]، ومما ورد في شأنهما أنَّهما سيِّدا شباب أهل الجنة[٤]، وقال النَّبي ﷺ في الحسن: (إنَّ ابني هذا سيد، ولعلَّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين)[٥]، فهما وأمهات المؤمنين جميعاً من المبشرين بالجنَّة.

---

(١) أخرج البخاري (٣٢٤٩)، ومسلم (٢٤٣٠)، من حديث علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:(خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة)، وأخرج البخاري (٣٢٣٠) من حديث أبي موسى الاشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام).

(٢) أخرج البخاري(٣٥٣٩)، ومسلم (٢٤٢٢) من حديث البراء بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال للحسن: (اللهم إني أحبه فأحبه)، وأخرجه الترمذي (٣٧٨٢) وقال: أبصر رسول الله ﷺ حسناً وحسيناً فقال: (اللهم إني أحبهما فأحبهما)، قال أبوعيسى: «هذا حديث حسن صحيح».

(٣) أخرج ابن ماجه (٣٦٦٦) من حديث يعلى العامري رضي الله عنه: (جاء الحسن والحسين يسعيان إلى النبي صلى عليه وسلم فضمهما إليه)، وصححه الألباني في صحيح سنن بن ماجه (٢٩٥٧).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٧٦٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

(٥) أخرجه البخاري (٢٥٥٧) من حديث أبي بكرة رضي الله عنه.

ومذهبُ أهلِ السنَّةِ والجماعة إنَّما يُشهد بالجنة لمن شهد له الرسول ﷺ، وهذا هو الذي عليه جمهور أهل العلم، فلا يُشهد لمعين بالجنَّة إلا لمن شهد له رسول الله ﷺ؛ كالعشرة والحسن والحسين وفاطمة وسائر أمهات المؤمنين رضي الله عنهم جميعاً[1].

(١) انظر شرح مسلم على النووي (١/ ٢٧٦)، وقال: «وهذا مجمع عليه عند أهل السنة».

[فضل أم المؤمنين عائشة ومعاوية رضي الله عنهما]

٢٠- وعـائشُ أُمُّ المُـؤمِنين وخَالُنـا معاويـةٌ[1] أَكْـرِمْ بـه ثُـمَّ أَمْـنَحُ

[الشرح]:

يقول: (**وعائش أم المؤمنين**) وعائش هي عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما، وهذا الحذف يسمَّى ترخيماً، وأكثر ما يقع في النداء، يقال: يا عائشُ، يا فاطمُ، يا خديجُ، ويأتي الترخيم في غير النداء قليلاً، وهذا منه، والذي أوجب له الترخيم رعاية النَّظم؛ لأنَّ النَّظم لا يسعفه أن يعبر بما يريد[2].

(**وعائش**) كأنَّه عطف على قوله: (**وفاطمة**)، وعائشة هي إحدى أمهات المؤمنين، وكل أزواج النَّبي ﷺ لهنَّ هذا الوصف بنص القرآن: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب:٦]، وهذه أمومةُ منزلةٍ واحترام، فليس لهن أحكام الأم من حيثُ النظر والمحرمية والخلوة[3].

فأشار في البيتين إلى فضل خديجة وعائشة وفاطمة رضي الله عنهنَّ.

---

(١) صرف لأجل الوزن.

(٢) يكون الترخيم في غير المنادى للضرورة، قال ابن مالك: «ولاضطرار رخموا دون نداء»، انظر شرح ابن عقيل (٢/ ٢٩٤).

(٣) انظر معالم التنزيل (٣/ ٥٠٧)، ونقل الإجماع على ذلك ابن كثير انظر التفسير (٣/ ٦١٧).

[المفاضلة بين خديجة وعائشة ﵄]:

ويختلف أهل السنَّة في المفاضلة بين خديجة وعائشة رضي الله عنهن على ثلاثة مذاهب:

١ - فمنهم مَن فضَّل خديجة وقال: إنَّها أفضل أمهات المؤمنين.

٢ -ومنهم من فضل عائشة على الإطلاق، وكلٌّ يستدل بما ورد في فضل الواحدة منهنَّ.

٣ -وتوسط قوم فقالوا: إنَّ كلاً منهما أفضل من الأخرى من وجه، كما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀[1]، وذلك بأنَّ خديجة لها فضل السبق إلى الإسلام، والمؤازرة للرسول ﷺ، والمعاونة له على أمره في وقت الشدة، عندما نزل عليه الوحي بحِرَاء وجاء يرتعد خائفاً، وذكر لها ما كان، وقال: إنِّي خشيتُ على نفسي، فقالت له القولة المعروفة التي تدل على رجاحة عقلها، وعمق فهمها وعلمها بالله: (كلا والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتَصِلُ الرحمَ، وتحمل الكلَّ، وتكسب المعدوم، وتَقْرِي الضيف، وتعين على نوائب الحق)[2].

وعائشة أفضل من جهة الفقه في الدين، والتبليغ لأحكامه، فهي قد حملت عن النَّبي ﷺ حديثاً كثيراً وبلَّغته، فهذه فضيلة تختص بها ليست

---

(١) انظر كلامه في مجموع الفتاوى (٤/ ٣٩٣)، ومنهاج السنة (٤/ ٣٠١-٣٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣) من حديث عائشة ﵂.

لخديجة، ولخديجة فضيلة تختص بها ليست لعائشة، والله أعلم أيتهما أفضل عنده.

أما من جهة الفضائل فلكل منهما فضيلة تتميز بها عن الأخرى، وكان النَّبي ﷺ يحب خديجة ﵂ ويذكرها، وكان يذبح الشاة ويقسمها على صديقاتها[١]، وكانت عائشة ﵂ تغار منها وهي ميتة[١]، وهذه الغيرة من طبع النِّساء، وخديجة ﵂ لها شأن عظيم، كيف وقد جاء جبريل ﵇ يبلغها بواسطة النبي ﷺ السلام من ربها، كما ثبت في الصحيح قال: أتى جبريل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناءٌ فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قَصَب لا صَخَبَ فيه ولا نَصَب[٢]، وهذه فضيلة عظيمة.

والحديث عن فضائل هؤلاء الفضلاء والفاضلات الأخيار طويل وطويل، والسفَّاريني ﵀ قد أجاد وأفاد وأحسن في شرح هذه الأبيات[٣].

---

(١) ثبت في البخاري (٣٦٠٥) عنها ﵂ أنها قالت: «ما غرت على امرأة للنبي ﷺ ما غرت على خديجة، هلكت قبل أن يتزوجني؛ لما كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يبشرها ببيت من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن».

(٢) رواه البخاري (٣٦٠٩)، ومسلم (٢٤٣٢) من حديث أبي هريرة ﵁.

(٣) تحدث عن الفضائل من نهاية المجلد الأول وحتى ص(١٠٤) من المجلد الثاني.

[الكلام في معاوية رضي الله عنه ونعته بالخال]:

قوله: (**وخالنا معاوية**) خال المؤمنين معاوية بن أبي سفيان واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، وكان معاوية يُكنى أبا عبدالرحمن، وهو أول ملوك المسلمين، ولد قبل البعثة بخمس سنين[١].

وهو أحد كُتَّاب النَّبي[٢] ﷺ، يعد في مسلمة الفتح؛ أو ما بعد صلح الحديبية، فإنَّ الصحابة رضي الله عنهم كان إسلامهم على مراحل، فأفضلهم الذين أسلموا قبل الفتح، ثم الذين أسلموا بعد الفتح، ومنهم من أسلم بعد الفتح وقبل فتح مكة، والمراد بالفتح الفتح الفاصل بين مرحلتين، وهو صلح الحديبية الذي وقع في السنة السادسة من الهجرة[٣]، وهو المذكور في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ﴾ الآية [الحديد:١٠].

فمعاوية، وعمرو بن العاص، وخالد بن الوليد، رضي الله عنهم جميعاً، كلهم من هذا النوع، ليسوا من السابقين الأولين، فالسابقون الأولون هم على

(١) انظر الاستيعاب (٣/ ١٤١٦)، والإصابة (٣/ ١٠٢).

(٢) انظر صحيح مسلم (٢٥٠١).

(٣) وهو الذي رجحه الطبري كما في جامع البيان (٢٧/ ٢٢١)، وانظر رسالة أهل الصفة ضمن مجموع الفتاوى (١١/ ٥٦)، وشرح الطحاوية ص(٤٦٧).

القول الراجح من أسلم من قبل الفتح[1]: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ ۚ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا ۚ﴾، قال الله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ ۚ﴾ فكلهم موعودون بالحسنى، وكلهم على فضائلهم ومنازلهم.

وقول النَّاظم: **(وخالنا معاوية)**، فيه نعتُ معاويةَ بالخالِ، وقد عرف ﷺ بخال المؤمنين، ولا أدري من الذي لقبه به، لكن هم يطلقونها لأَنَّه أخ لأمِّ المؤمنين أمِّ حبيبة بنت أبي سفيان، واسمها رملة، وقيل هند، وهي إحدى أمَّهات المؤمنين، فهذا سبب تلقيبه خال المؤمنين. وهناك سبب آخر أوجب اشتهاره بذلك مع مشاركة آخرين له، وهو الرد على من يطعن عليه ﷺ وذلك ببيان فضائله، ومنها أنه صهر النبي ﷺ، وإلا فهذا المعنى ينسحب على كل إخوة أمَّهات المؤمنين، فعبد الرحمن بن أبي بكر يصدق عليه بهذا الاعتبار أنَّه خال المؤمنين، لكن الذي عرف بهذا واشتهر به دون البقية هو معاوية[2] ﷺ، فيجب أن يُعرف له فضله وفضل الصحبة، وفضل تقريب الرسول ﷺ له حتى اتخذه من كُتّابه.

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية (٢/ ٢٦).

(٢) انظر تفصيل الكلام وبيان سبب اشتهاره بذلك في منهاج السنة النبوية (٤/ ٣٦٧-٣٧٢).

وقد صار موضع تقدير لأبي بكر وعمر وعثمان؛ فقد ولاه أبوبكر الشام بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان، وأقره عمر على الشام، وجمع له عثمان الشام فولي الشام عشرين سنة أميراً[١]، ولما تنازل الحسن بن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه وعن أبيه عن الخلافة لجمع كلمة المسلمين ولكف الدماء وقطع دابر الفتنة، اجتمعت الكلمة عليه في عام أربعين من الهجرة، وسمي ذلك العام عام الجماعة كما هو مشهور معروف[٢]، وصار مَلِكاً على المسلمين عشرين سنة، فولايته منذ ولي بعض الأمور إلى أن صار خليفة إلى آخر الأمر أربعون سنة، وهو أمير؛ ملك أو خليفة[٣].

وقوله: (**أكرم به ثم أمنح**) يقول: معاوية أكرم به، و(**أكرم به**) أسلوب تعجب، أي ما أكرمه، (**ثم أمنح**) هذه الكلمة مشكِلة نوعاً ما، فقد يكون المراد (**ثم أَمْنَحُ**): ثم هو أَمْنَحُ، أي: أكثر منحاً وجوداً وعطاءً، وقد يكون المراد (**ثم أمنِحُ**) أي: ثم ما أمنحه بمعنى ثم أمنِح به، مثل ما

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية (٤/ ٣٨٢).

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣٥/ ١٩)، وتاريخ الإسلام (٤/ ٥)، وتاريخ ابن خلدون (٢/ ٦٤٨).

(٣) انظر الإصابة (٦/ ١٥٢).

قال: أكرم به، وأَمِنح بـه، مـن المَـنْحِ؛ وهـو العطـاء، والمنيحـة العطيـة[1]، والمقصود الإشادة بكرم معاوية وفضله رضي الله عنه.

(١) لسان العرب (٢/ ٦٠٧).

[فضل المهاجرين والأنصار رضي الله عنهم]

٢١- وأَنْـصَارُه والهَـاجِرُون دِيـارَهم بنُصْرَتِهم عن كَيَّةِ النَّارِ زُحْزِحُوا

[الشرح]:

(**وأنصاره**) المراد أنصار النَّبي ﷺ وهم الأوس والخزرج والله تعالى ذكرهم بهذا الوصف، فالله تعالى سمَّاهم الأنصار، وكذلك رسول الله ﷺ.

والأنصار: جمع نصير، (**والهاجرون ديارهم**): يريد بذلك المهاجرين، وأخر ذكر المهاجرين مراعاة للنَّظم ولا بأس بهذا؛ فقد جاء على لسان النَّبي ﷺ قوله: (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأنصار والمهاجرة)[1] ، وإلا فالأصل هو تقديم المهاجرين؛ فالمهاجرون مقدمون على الأنصار في القرآن في كل المواضع: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾[التوبة: ١٠٠]، ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ.. ﴾ الآيتين [الحشر:٨،٩].

وقوله: (**الهاجرون**) أي التاركون ديارهم، فالمهاجرون هم الذين فارقوا أوطانهم فراراً بدينهم، ونصرة لله ورسوله، فجاؤوا إلى النَّبي ﷺ في

(١) أخرجه البخاري (٦٠٥١) –واللفظ له– ومسلم بنحوه (١٨٠٤)، من حديث سهل ابن سعد رضي الله عنه.

المدينة من مكة و شتى الأقطار، فاجتمع أهل البلد وهم الأنصار مع الضيوف الوافدين المهاجرين.

وقد جاءت نصوص في فضل المهاجرين والأنصار، منها قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾[التوبة: ١٠٠]، ومما جاء في فضل الأنصار عن النبي ﷺ قوله: (آيةُ الإيمان حُبُّ الأنصار، وآيةُ النفاق بُغْضُ الأنصار)[1] وقال: (لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق)[2].

وإذا كان هذا في الأنصار فالمهاجرون من باب أولى، فهم أنصار في المعنى، فمعنى النصرة حاصل من الكل.

وقوله: **(ديارَهم)**، مفعول به، أي: والذين هجروا ديارهم وأموالهم كما قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾﴾ [الحشر]

(١) أخرجه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٧٢)، ومسلم (٧٥) من حديث البراء بن مالك رضي الله عنه.

فأثبت لهم صفة النصرة، وأثنى عليهم بطلب فضل الله ورضوانه، كما أثنى عليهم بنصرة دينهم.

يقول النَّاظم: (**بنصرتهم عن كَيَّةِ النَّار زحزحوا**)، والسفَّاريني في لوائح الأنوار، شرح على: (**بنصرهمُ عن ظلمة النَّار زحزحوا**)[1] ويستقيم الوزن والمعنى على اللفظين، أي: بنصرتهم لرسول الله ﷺ، وبنصرتهم لدين الله عن ظلمة النَّار زحزحوا، ووقع هنا (**عن كَيَّة النار زحزحوا**)، والمقصود من هذا وذاك أنهم زحزحوا عن النَّار فنجوا، بإيمانهم ونصرهم لدين الله، ونصرهم لرسول الله ﷺ.

والزحزحة الإبعاد بشيء من التدرج، والدفع شيئاً فشيئاً، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران:١٨٥]، ومن زحزح عن النَّار دخل الجنَّة، ولكن تمام الفوز إنما يكون بدخول الجنَّة، وأول الفوز النَّجاة من النَّار بالزحزحة عنها ومجاوزتها، فمن جاوز النَّار تجاوز كل الأخطار، ونجا من كل مكروه.

ولا شك أنَّ المهاجرين والأنصار لهم الحظُّ الوافر من ذلك الفضل؛ فهم أولى الناس بالنَّجاة من النَّار ودخول الجنَّة، قال تعالى:

---

(١) لوائح الأنوار (٢/ ٨٧).

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التوبة:١٠٠]، فوعدهم الله الرضوان والفوز بالجنان.

وقد قال ﷺ في أهل بيعة الرضوان: (لا يدخل النَّارَ أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة)[1].

(١) رواه الترمذي في سننه (٣٨٦٠)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح». ومعناه في مسلم (٢٤٩٦) من حديث أم مبشر ﵄.

[فضل التَّابعين]

٢٢- ومِنْ بَعدِهم فالتَّابعونَ لِحُسْنِ ما حَذَوْ حَذوهم قولاً وفعلاً فأفلحوا

٢٣- ومالكُ والثوريُّ ثم أخوهمُ أبوعَمْرِو الأوزَاعيُّ ذاك المُسبِّحُ

٢٤- ومِنْ بَعدِهم فالشافعيُّ وأحمدٌ إمامَا هُدىً من يتبعِ الحقَّ يَنْصَحُ

٢٥- أولئك قومٌ قَدْ عَفَا اللهُ عنهمُ فأحبِبْهم فإنَّكَ تَفْرَحُ(١)

[الشرح]:

بعد ما ذكر فضل الصحابة ﷺ وتفاضلهم أشاد بفضل التابعين، ولا شكَّ أنَّ التَّابعين لهم فضيلة الاتِّباع، والله قد نوَّه بذلك فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾ [التوبة:١٠٠]، فيجب

(١) وقع في بعض النسخ أول الشطر الثاني: وأرضاهم فأحببهم... وكذا رأيته في صورة مخطوط شرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين، المأخوذة عن أصل ظاهرية دمشق (حديث- ١٦٤) الورقة قبل الأخيرة من الجزء العشرين، ووقع في المطبوع تصرف آخر فجاء في نسخة: فأحببهم يحيى،وفي نسخ مطبوعة أخرى أُثبت البيت كما أثبت هنا، وكأنه نقل عن أصل بيض فيه لكلمة أو نحوها، فالوزن لايستقيم بغير إضافة، ولايستقيم كذلك لو قُدِّرَ إثبات (وأرضاهم فأحببهم)، ويستقيم على قول من قال: (فأحببهمُ يحيى)، وليس لذكر يحيى ما يفسره السياق، وقد سألت شيخنا عبدالرحمن البراك فقال: «لعلها: (فأحببهم حباً)، أو نحو ذلك»، ولو كانت: (تحيى وإنك) لكان لها وجه.

الاعتراف بفضل التَّابعين الذين لقوا الصحابة، وأخذوا عنهم، وحذو حَذوهم في العلم والعمل، وتشرَّفوا بلقائهم، فرؤيتهم لأصحاب النَّبي ﷺ أُمنية عظيمة وكرامة وفضيلة.

وهذه الأبيات لم تثبت عند الشارح فقد وقف عند ذكر الصحابة والتابعين، وعلى كل حال إن صحت هذه الأبيات عن النَّاظم فهو كما أشاد بالصحابة والتَّابعين أشاد بالأئمة المشهورين بالعلم والدين، والعبادة والصلاح، وذكر منهم مالكاً، والشافعي وأحمدَ، والأوزاعيَّ، وسفيان الثَّوريَّ، وهؤلاء ذكرهم على سبيل المثال، لا على سبيل الحصر؛ لأنَّ هؤلاء لهم نظراء أمثال أبي حنيفة، والليث بن سعد، وسفيان بن عيينة، وأبي عبيدة القاسم بن سلام، والأئمة أصحاب المصنفات: كالبخاري، ومسلم، وأصحاب السُّنن، وغيرهم، وكلهم أئمة هداة ومهتدون، وقدوة صالحون، وعلماء عُنوا بدين الله؛ حملوه وعلموه وذبوا عنه، فيجب الاعتراف بفضائلهم، وما أكرمهم الله به من العلم والإمامة في الدين.

وهم متفاوتون في الفضائل، مثل الصحابة ﭬ.

[انقسام النَّاس في العلماء]:

والنَّاس في العلماء ثلاثة أصناف كما أنَّهم في الصحابة كذلك:

الصنف الأول: قوم غلوا في العلماء، وأفرطوا في تعظيمهم حتى جعلوا لهم بعض خصائص النُّبوة، كما يقع من بعض المتعصبين الـذين يغلـون في متبوعيهم، ويجعلون أقوال متبوعيهم هي الحَكَم المقدَّمَةُ على قول كل أحد يخالفها؛ فلا يقبلون من سـواهم، بـل النُّـصوص إذا وردت تُعـرض عـلى أقوالهم فما وافقها قبلوه، وما خالفها ردوه، زاعمين أنَّ أئمتهم أعلم، فلـو كانت صحيحة أو لو كانت مُحْكمة لما تركوها ولمـا أهملوهـا، وهـذا الغلـو سبيل المتعصبين من المقلدين. ولا بـأس في أن يكـون الإنـسان حنبليـاً أو شافعياً أو مالكياً أو حنفياً، فلا يضر الانتساب إلى الأئمة، لكن المذموم هو التعصب والغلو في المتبوعين.

فهؤلاء الأئمة الأربعة كلٌّ له من الفضل في العلم والدين ما قـدر الله له، وقد بينوا رحمهم الله أن أقوالهم يجب أن تُعرض عـلى كتـاب الله وسـنَّةِ رسوله ﷺ، فيُطَّرح منها ما خالف نصَّاً من كتاب أو سـنَّة، وقـال بعـضهم القولة المشهورة: كل أحد يؤخذ من قوله ويُترك إلا صاحب هذا القـبر[1]؛ هذا مذهبُ جميعهم، فالذين يتعصبون لهم مخالفون لهم.

(١) لم أجده مسنداً له مع شهرته عنه، وقد صح عن جمع مـن الـسلف فـيهم ابـن عبـاس كـما في المعجم الكبير (١١/ ٣٣٩) (١١٩٤١)، ومجاهد كما في قرة العينين (١٠٣)، وانظـر جـامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩١)، ونقل ابن تيمية الإجماع عليه كـما في مواضـع وانظـر مجمـوع الفتاوى (٢/ ٢٢٧)، (١١/ ٢٠٨)، (٢٠/ ٢٣٢)، (٢٦/ ٢٨٢).

الصنف الثاني: يقابلهم وهم الذين يرفضونهم، ولا يعرفون لهم مقدارهم، ولا ينظرون في أقوالهم، ولا يستفيدون من فهومهم واستنباطهم وبيانهم، ويقولون: نحن رجال وهم رجال. وهذا حق، لكن سبحان الذي فاضل بين الرجال، ورفع بعضهم فوق بعض درجات.

وهذان فريقان على طرفي نقيض؛ أولئك غلوا وتعصَّبوا، وهؤلاء فرَّطوا وقصَّروا، وحرموا أنفسهم الانتفاع بعلوم أولئك العلماء وفهومهم وما فتح الله به عليهم.

والصنف الثالث: هم الذين عرفوا لهؤلاء العلماء قدرهم وفضلهم في العلم والدين، فاعترفوا بعلمهم وإمامتهم وهدايتهم، واقتدوا بهم وتعلموا منهم، واستفادوا من فُهومهم، ولم يتعصَّبوا لهم، فأقوال هؤلاء الأئمة عندهم معروضة على كتاب الله وسنَّة رسوله ﷺ فما وافقها قبلوه، وما خالفها ردوه، وما لم يتبيَّن فيها هذا ولا ذاك جعلوه موضع اختيار، فالأمر فيه واسع ليس بواجب الاتباع، وإنما الذي يجب اتِّباعُه الاتِّباعَ المطلق هو رسول الله ﷺ ليس إلاَّ، فهذا مقام يختص به الرسول ﷺ؛ لأنَّ طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، فتجب طاعته في كلِّ شيءٍ طاعةً مطلقةً بلا قيود، أما غيره فطاعته مقيدةٌ بطاعة الله ورسوله ﷺ.

فالواجب في أقوال الأئمةِ أَخْذُ ما وافق الدليل تحكيماً له، واتِّباعُهم في هذا حق، وما خالف الدليل وجب اطِّراحه، وهذا من اتِّباع الأئمة والاقتداء بهم في تعظيم كتاب الله وسنَّةِ رسوله ﷺ.

والمصنف أشار إلى هؤلاء الأئمة تنويهاً بفضلهم، وإرشاداً إلى الاقتداء بهم رضي الله عنهم ورحمهم.

[القول في عموم الصَّحابة ﷺ]

٢٦- وقُلْ خيرَ قولٍ في الصحابةِ كلهم ... ولا تَكُ طعَّاناً تَعيبُ وتَجْرحُ

٢٧- فقد نَطَقَ الوحيُ المُبِينُ بفضلِهِمْ ... وفي الفَتْحِ آيٌّ للصَّحابةِ تَمْدحُ

[الشرح]:

في هذين البيتين إرشاد من النَّاظم إلى ما يجب لعموم الصَّحابة، وهذا البيت في بعض الروايات مرتبط بالأبيات الأولى؛ لأنَّ ذكر التَّابعين وذكر الأئمة صار فاصلاً بين الأبيات المتعلقة بالصَّحابة، فكان المناسب كما في بعض الروايات أن يتقدَّم هذان البيتان على ما يتعلق بالتَّابعين ومن بعدهم.

قوله: (**وقل خير قولٍ**)، أي قل أيها السنِّيُّ خيرَ قول في الصَّحابة، وذلك بذكرهم بالجميل، والدعاء لهم، والترضي عنهم، وبيان ما يجب اعتقاده فيهم، (**وقل خير قول في الصحابة كلهم**)، من دون تفريق بينهم إلا فيما فرَّق اللهُ فيه ورسولُه ﷺ، فينزل كل منهم منزلته، وجميعهم يشتركون في وجوب محبتهم والثَّناء عليهم، ووجوب الاعتراف بفضلهم، فكلهم يشتركون في فضيلة الصحبة على منازلهم فيها، وتفاضلهم كتفاضل الأنبياء.

وقوله: (**ولا تكُ طعّانا تعيب وتجرح**)، أي لا تكن طعاناً في أحد من الصَّحابة كما تفعل طوائف المبتدعة من الرَّافضة والخوارج، فالرَّافضة يطعنون في كل الصَّحابة ويعيبونهم إلا نفراً قليلاً، ويُخُصُّون الشيخين بمزيد من الطَّعن والسب واللَّعن،- فعلى الرَّافضة لعنةُ الله- فإنهم يلعنون أبا بكر وعمر أفضل الصَّحابة، وخير هذه الأمة، بل خير النَّاس بعد الأنبياء، ويكفرون أو يفسقون بقية الصَّحابة إلا القليل منهم، مثل عمار ابن ياسر، وسلمان الفارسي رضي الله عنهما ونفر قليل غيرهم[1].

والخوارج كذلك يكفِّرون علياً وعثمان رضي الله عنهما، ويكفرون أصحاب الجمل، وصفين.

والنَّاظم يرشد إلى ذكر الصحابة بالجميل ويحذر من الطَّعن في أحد منهم.

[أقسام النَّاس في الصحابة]:

والنَّاس في الصحابة ثلاث طوائف -كما تقدم- طرفان ووسط:

الطائفة الأولى: الرَّافضة وهؤلاء يغلون في أهل البيت ويدَّعون لأئمتهم العصمة، ويقصرون في حق سائر الصَّحابة ويبغضونهم،

---

(١) اشتهر عنهم تكفير جميع الصحابة إلا ستة منهم، وهم: (عمار بن ياسر، وسلمان الفارسي، والمقداد، وجابر، وأبوذر الغفاري، وعبدالله بن عمر) رضي الله عنهم أجمعين، انظر البدء والتاريخ لابن المطهر (٥/ ١٢٧)، وبعضهم عَدَّ غير هؤلاء.

فالرَّافضة جمعوا بين الضلالتين: ضلالة الغلو، وضلالة التقصير في الصحابة، فغلو في فريق، وفرَّطوا في حق أكثر الصَّحابة.

الطائفة الثانية: وهم الخوارج فرَّطوا وقصَّروا في شأن أهل البيت وآخرين من الصحابة.

والطائفة الثالثة: أهل السنَّة وهم وسط بين هؤلاء وهؤلاء، فأهل السنَّة في الصَّحابة وسط بين الرَّافضة والخوارج، فهم يؤمنون بفضلهم وتفاضلهم، وينزلون كلاً منزلته ولا يطعنون في أحد منهم، رضي الله عنهم وأرضاهم.

وقول الناظم: (**فقد نطق الوحي المبين بفضلهم**)، أي بفضل الصحابة (**نطق الوحي**) أي الكتاب والسنة، و(**المبين**) أي البَيِّن، كما في سورة براءة والفتح والحديد والحشر، وقد تقدم ذكر بعض الشواهد على ذلك من القرآن والسنة[1]، فرضي الله عن صحابة رسول الله ﷺ، وأرضاهم، ورزقنا حبهم، وسلك بنا سبيلهم، وجعلنا وإياكم من التابعين لهم بإحسان.

---

(١) انظر الصفحات(١١٠-١١٣).

[الإيمان بالقدر]

٢٨- وبالقَـدَرِ المَقْـدُورِ أيقِـنْ فإنـه دِعامَةُ عَقْدِ الدِّينِ والدِّينُ أفْيَحُ

[الشرح]:

(**وبالقدر المقدور أيقن**) أيها المسلم السُّنِّي؛ فإنَّ الإيمان بالقدر (**دِعامة عقد الدين**)، دعامة الاعتقاد الحقِّ، أي ركنه وعماده.

وقوله: (**والدين أفيح**)[1]، جاء تكميلاً للنَّظم، ومعناه أن دين الله واسع.

والنَّاظم ضمَّن هذا البيت تقرير أصل من أصول الإيمان، وهو الإيمان بالقدر كما نصَّ على ذلك النَّبي ﷺ في جوابه لجبريل عليه السلام عن الإيمان حيث قال: (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره)[2].

فالإيمان بالقدر أحد أصول الإيمان، وهو الأصل السادس في كلام الرسول ﷺ، والقدر: كلمة تُطلق ويُراد بها التَّقدير، ويُراد بها الشيءُ

(١) قال في العين (٣/ ٣٠٧): «الأفيح: كل موضع واسع»، وفي لسان العرب (٢/ ٥٥٠): «الفَيَحُ السعة والانتشار».

(٢) رواه عمر رضي الله عنه كما في صحيح مسلم (٨)، واتفق عليه الشيخان؛ البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

المقدور، فإنَّ القدر اسم مصدر يطلق على المعنى المصدري، ويطلق على المفعول[1].

والمراد أنَّه يجب الإيمان بتقدير الله لمقادير الأشياء؛ فإنَّ الله تعالى أخبر بأنَّه قَدَّرَ كلَّ شيءٍ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر]، وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ [فاطر:١١]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ﴾ [الحج:٧٠].

[مراتب الإيمان بالقدر]:

وللإيمان بالقدر أربع مراتب[2] لا يكون الإنسان مؤمناً بالقدر حتى يستكملها:

المرتبة الأولى: الإيمان بعلم الله السابق القديم، فالله علم ما يكون قبل أن يكون، بما في ذلك أفعال العباد فقد سبق علم الله بما هم عاملون.

---

(١) لسان العرب (٥/ ٧٤).

(٢) شفاء العليل (١/ ٢٩).

والمرتبة الثانية: الإيمان بكتابة الله لمقادير الأشياء، كما في الآيات المتقدمة، وكما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عند مسلم(١) أنَّ النَّبي ﷺ قال: (كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة)، وفي حديث عبادة بن الصامت ﷺ عن النبي ﷺ أنَّه قال: (إن أول ما خلق الله –تبارك وتعالى- القلم ثم قال اكتب فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة)(٢).

والمرتبة الثالثة: الإيمان بعموم مشيئة الله فلا يخرج عنها شيء، ولا يكون في هذا الوجود ما لا يشاء أبداً، فما من حركة ولا سكون في هذا العالم، علويِّه وسفليِّه إلا بمشيئته –سبحانه-، والآيات الدالة على المشيئة كثيرة منها قوله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾ [التكوير]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ٢٩ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٣٠﴾ [الإنسان]، وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا﴾ [الأنعام:١٢٥].

(١) مسلم (٢٦٥٣).

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٣١٧)، (٢٢٧٥٧) وقد رواه جمعٌ بنحو هذا اللفظ.

وقد علق الله سبحانه الأمور الكونية العامة بالمشيئة كما في قوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الشورى:١٢]، وقوله: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾ [الشورى]، وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة]، والآيات في هذا كثيرة، فأفعال العباد واقعة بمشيئته سبحانه وتعالى.

والمرتبة الرابعة: الإيمان بعموم الخلق، أي أنه خالق كلِّ شيءٍ؛ فهو خالق السماوات والأرض ومن فيهن وما بينهن، وهو خالق العباد وخالقُ قدرتِهم، وخالق صفاتهم، وخالق أفعالهم الظاهرة والباطنة، فهو خالق كل شيء كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر]، وقال تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصافات]، فلا خالق غيره سبحانه وتعالى وهو الخلاَّق العليم.

فهذه مراتب الإيمان بالقدر، لا يكون الإنسان مؤمناً بالقدر حتى يحققها كلها.

[مذاهب الناس في القدر]:

والناس في هذا الأصل طوائف:

[القدرية النفاة]

الطائفة الأولى: القدرية النُّفاة، الذين نفوا القدر، وهم صنفان: غلاة، ومتوسطون.

فأمَّا غلاتهم فنفوا كل هذه المراتب، وزعموا أنَّ الله لم يعلم أفعال العباد قبل أن تُخلق، وقالوا: إنَّ الأمر أُنُف. أي: لم يسبق به علم ولا كتاب.

وهؤلاء هم غلاة القدرية وهم قدماؤهم، فهم ينفون العلم، والكتاب، وعمومَ المشيئةِ، وعمومَ الخلقِ، فأفعال العباد عندهم لم يسبق بها علم الله ولا كتابه، ومقتضى قولهم أنَّ الله لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها، وبالضرورة أنَّه لم يسبق به كتاب، وأنَّ أفعال العباد تقع خارجةً عن مشيئته، بل يقولون: إنَّ كل ما له إرادة كالحيوان فأفعاله خارجة عن مشيئة الله وقدرته وخلقه، ولا هي داخلة في ملكه ﷻ؛ فهذا سبيل القدرية الغلاة[1].

والمتوسطون أثبتوا العلم والكتاب السابق، لكن نفوا عموم المشيئة وعموم الخلق، والمعتزلة قدرية نفاة من المتوسطين.

---

(١) انظر الواسطية ضمن مجموع الفتاوى(٣/ ١٤٩،١٥٠)، (٨/ ٤٥٠).

والقدرية النفاة متفقون على نفي عموم المشيئة وعموم الخلق[1]، فأفعال العباد بزعم القدرية النُّفاة كلِّهم لا تتعلق بها مشيئة الرب، فعندهم أنَّ ما يجري من أفعال النَّاس، كل ذلك ليس إلى الله، والله لا يقدر أن يجعل القائم قاعداً، ولا القاعد قائماً، ولا المؤمن كافراً، ولا الكافر مؤمناً، ولا المطيع عاصياً، فمذهبهم يتضمن تعجيز الرب، وإخراج كل ما يكون من أفعال العباد أو الحيوان عن ملكه وعن قدرته وعن مشيئته، وكفى بهذا ضلالاً مبيناً.

ونصوص الكتاب ظاهرة الدلالة في الرد عليهم، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾ [البقرة]، وقال سبحانه: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النحل:٩٣]، وقال: ﴿ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾﴾ [آل عمران]، فهو سبحانه وتعالى ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود]، ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ﴾[الرعد: ٤١]، ولا راد لقضائه.

وهؤلاء القدرية النُّفاة، هم الذين جاءت الآثار فيهم بأنهم مجوس هذه الأمة[2]، فهم مُشَبَّهُون بالمجوس الذين يجعلون الخلق راجعاً إلى أصلين: النُّورِ والظُّلمةِ، إلهِ الخيرِ وإله الشر.

---

(١) السابق.

(٢) أخرجه أبوداود (٤٦٩١) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما، وحسنه الألباني، انظر صحيح الجامع (٤٤٤٢).

[الجبرية]

أما الطائفة الثانية: فيقابلون القدرية وهم الجبرية، ورأس الجبرية جهم بن صفوان[1]؛ فإنَّه جمع بين ثلاث بدع كبرى: وهي الإرجاء الغالي[2]، والتعطيل لأسماء الرب وصفاته، والجبر: وهو أن العبد مجبور على أفعاله، ليس له اختيار ولا مشيئة، فحركات النَّاس كحركة الأشجار، وحركة الريشة في مهب الريح، وحركة المرتعش؛ حركات لا إرادية بزعمهم.

ومقتضى القول بالجبر أنَّ الإنسان غير ملوم على ما يفعله من المعاصي، وأن القدر حجة لهم.

وهذا سبيل المشركين الذين عارضوا دعوة الرسل بقولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾﴾ [الأنعام]، وقال تعالى مخبراً عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ﴾ [النحل:٣٥]، قالوا ذلك رداً لدعوة الرسل

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص(٤٣٦).

(٢) السابق ص(٣٣١).

ومعارضة لهم، وإلا فقولهم: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ كلمة حق، لكنهم أرادوا بها باطلاً، ومن قال كلمة حق يريد بها باطلاً، فهو مبطل.

فتبين مما سبق أنَّ الجبرية والقدرية على طرفي نقيض، فالجبرية يقولون: إنَّه لا فاعل إلا الله، فلازم قولهم: أنَّ الله هو القائم والقاعد، والمصلي والصائم، والصادق والكاذب، فالله هو الفاعل لهذه الأفعال في الحقيقة، وليست هذه أفعال العباد، وإضافتها إلى العباد إضافة مجاز لا حقيقة -تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً- وهذا مذهب لا يمكن أن يلتزم به من يدعيه، ولا أن تستقيم عليه حياة أبداً.

ولهذا فإن مذهب القدرية النُّفاة مع قبحه وفساده خير من مذهب الجبرية.

[أهل السنة]

وأما الطائفة الثالثة: بين المذهبين وهم أهل المذهب الحق، أهل السنَّة والجماعة، فمذهبهم: الإيمان بالقدر بكل ما يتضمنه من المراتب المذكورة، وأنَّ أفعال العباد أفعال لهم حقيقة، فعلوها بإرادة ومشيئة، ولكنَّها مخلوقة لله، فالله خالق العباد وخالق قدرتهم وخالق أفعالهم، فأفعالهم أفعالٌ لهم، والعبد له إرادة واختيار، ولكن مشيئة العبد محكومة بمشيئة الله كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [التكوير:٢٩]

فأثبت للعباد مشيئة لكن مقيدة بمشيئته ﷻ، وهو الحكيم في شرعه وقدره.

فالصراط المستقيم في القدر يقوم على هذه الأصول:

الإيمان بقدر الله، بما يشتمل عليه من المراتب الأربع التي تقدمت.

والإيمان بشرع الله وهو أمره ونهيه.

والإيمان بحكمة الله. فالله تعالى حكيم في شرعه وفي قدره، له الحكمة البالغة.

فهذه ثلاثة أمور، من اعتصم بها نجا من سبل الضلال في هذا الباب.

[الإيمان باليوم الآخر]

٢٩- ولا تُنْكِـرَنْ جَهْـلاً نَكِـيرَاً ومُنْكَـراً ولا الحَوضَ والمِيزَانَ إنَّـكَ تُنْـصَحُ

[الشرح]:

يشير المؤلف في هذا البيت إلى بعض أمور الآخرة واعتقاد أهل السنة فيها، وهي:

سؤال الملكين، وحوض النبي ﷺ، والميزان.

ومن أصول الإيمان: الإيمان باليوم الآخر، والإيمان باليوم الآخر يشمل الإيمان بكل ما يكون بعد الموت، وهو كما قال الإمام ابن تيمية في العقيدة الواسطية: «الإيمان بكل ما أخبر به النَّبي ﷺ مما يكون بعد الموت»[١]. فيدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بما يكون من حال المحتَضَر، وتولي الملائكة لقبض الروح، وما يكون بعد ذلك من أحوال وأهوال، وما يكون في القبر من فتنة وعذاب ونعيم، وما يكون بعد ذلك من البعث والنشور، والحشر والجزاء ووزن الأعمال والحوض والصراط وغير ذلك.

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٥)، وانظر توضيح مقاصد الواسطية ص(٢٠٦).

كل ذلك يدخل في الإيمان باليوم الآخر، فالمؤلف أشار إلى بعض ذلك. وأهل السنَّة والجماعة يؤمنون بهذا كله: فيؤمنون بفتنة القبر، وأنَّ الإنسان يفتن في قبره، أي: يمتحن. كما قال ﷺ: (أوحي إلي أنَّكم تفتنون في قبوركم، مثل أو قريباً من فتنة المسيح الدَّجال)[1]، وأكثر النَّاس لا يدركون فتنة المسيح الدَّجال، وأما هذه الفتنة؛ فتنة القبر فلا محيد ولا مفر منها، فإذا وضع الميت في قبره أتاه ملكان فيقعدانه ويسألانه: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟

ثلاثة أسئلة، فالمؤمن الموقن يجيب بالصواب، ويقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ. وأما الكافر فيقول: ها ها لا أدري، سمعت النَّاس يقولون شيئاً فقلته. فيضرب بِمِرْزَبَةٍ فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين، كما جاءت الأحاديث الصحيحة الثابتة في هذا المعنى عن النَّبي ﷺ[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٨٦) وغير موضع، ومسلم (٩٠٥)، من حديث أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما.

(٢) كما عند أحمد في المسند (١٨٥٥٧)، وانظر سنن أبي داود (٤٧٥٣) حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما، والحديث صححه الطبري في مسند عمر (٢/ ٥٠٠)، وجمع من الأئمة، وأصل الحديث في مسلم (٢٨٧١)، ولكن بذكر سؤال واحد وجوابين وهو (من ربك؟ فيقول ربي الله ونبيي محمد ﷺ)، وفي البخاري (١٢٧٣) بلفظ آخر مجتزأ من حديث أنس ابن مالك رضي الله عنه.

ثم بعد ذلك يكون الميت في قبره في نعيم أو عذاب، كما جاء في حديث البراء بن عازب الطويل عن قبض روح المؤمن وروح الكافر، وما يكون لها، وما يجري عليها بعد ذلك[١].

فالقبر كما جاء في الحديث: (روضة من رياض الجنَّة، أو حفرة من حفر النَّار)[٢] ولهذا جاءت النصوص بسؤال النَّجاة من عذاب القبر، والرسول ﷺ أمر بالاستعاذة من عذاب القبر، بل أمرنا أن نستعيذ بالله من عذاب القبر في كل صلاة فقال: (إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع، يقول: اللهمَّ إنِّي أعوذ بك من عذاب جهنَّم، وعذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدَّجال)[٣].

[ما ذكره الناظم من أمور اليوم الآخر]:

وقد ذكر الناظم من الغيب الذي يحدث للميت في قبره ويجب الإيمان به أموراً:

[أولاً: مجيء الملكين]

يقول الناظم: (**ولا تنكرن جهلاً نكيراً ومنكراً**)، ومنكرٌ ونكير اسمان للملكين اللذين يأتيان الإنسان في قبره، فيقعدانه ويسألانه، وتسميتهما

---

(١) تقدم ص(١٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي(٢٤٦٠) عن أبي سعيد الخدري ﷺ، وقال أبوعيسى: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٦٧٦).

(٣) أخرجه البخاري(١٣١١)، ومسلم(٥٨٨)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

بمنكر ونكير جاءت في حديث رواه الترمذي[١]، وليست معرفة اسميهما من المهمات، والمهم هو الإيمان بفتنة القبر.

والمعروف أنَّه لم يثبت من أسماء الملائكة إلا: جبرائيل، وميكائيل، وإسرافيل، ومالك خازن النَّار، ومنكر، ونكير، هذه هي كل ما ثبت من أسماء الملائكة[٢].

[ثانياً: الحوض]

ومما ذكر النَّاظم في هذا البيت الحوضَ، والمراد به حوض نبينا ﷺ وقد استفاضت بخبره الأحاديث، وجاء ذكر طوله وعرضه ووصفه، فطوله مسيرة شهر، وعرضه مسيرة شهر، وآنيته كثيرة عدد نجوم السماء، وجاء أنَّ ماءه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وهو كرامة لنبينا ﷺ وغياث لأمته، تَرِد عليه الأمةُ فيشربون، فمن شرب منه شربة لم يظمأ

---

(١) كل الأحاديث الواردة في تسمية الملكين ضعيفة إلا حديثاً واحداً أخرجه الترمذي (١٠٧١) من حديث أبي هريرة ﷺ، وقد جود إسناده الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٩١).
وسأل أحمد بن القاسم الإمام أحمد فقال: «هذه اللفظة (منكر ونكير) تقول هذا، أو تقول ملكين»؟. قال: نقول: «منكر ونكير، وهما ملكان». انظر طبقات الحنابلة (١/ ٥٥)، والروح لابن القيم ص(٥٧).

(٢) قال تعالى: ﴿وَمَلَآئِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ [البقرة:٩٨]، وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، وقال ﷺ: (اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل)، أخرجه مسلم (٧٧٠) من حديث عبدالرحمن بن عوف ﷺ.

بعدها أبداً[١]، وعنده تتجاوز الأخطار كلها، وقد ثبت عنه أنَّه قال ﷺ: (إنِّي فَرَطُكُم على الحوض، من مَرَّ علي شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً، ليردَنَّ علي أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم، فأقول: إنهم مني، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سُحْقاً سحقاً لمن غير بعدي)[٢].

فمما يجب الإيمان به وهو يدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بحوض النَّبي ﷺ وأنَّه حق، وأنَّه حوض حقيقي، وأنَّه يكون في عرصات القيامة قبل دخول الجنة، وقد ورد أنه يصب فيه ميزابان من الكوثر[٣]، الذي هو النهر الذي أُعطِيه رسول الله ﷺ، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر]، قيل: معناه الخير الكثير. وقيل: معناه نهر في الجنَّة[٤]. وكلا المعنيين حق، ولكن الراجح هو المعنى الثاني: فالمراد بالكوثر في الآية نهر في الجنَّة.

---

(١) أخرج ذلك البخاري (٦٢٠٨)، ومسلم (٢٢٩٢) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) متفق عليه من حديث سهل بن سعد وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، رواه البخاري (٦٢١٢)، ومسلم (٢٢٩٠).

(٣) مسلم (٢٣٠١) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٤) انظر تفسير ابن جرير (١٢/ ٧١٦).

[ثالثاً: الميزان]

مما يجب الإيمان به ويدخل في الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالوزن والميزان، وهذا مما جاء في مواضع من القرآن، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٦﴾﴾ [القارعة]، وقال: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ ﴿٨﴾﴾ [القارعة]، وقال: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف]، وقال: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء:٤٧].

وثبت في السنة ذكر الميزان، كما في حديث أبي هريرة: (كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان)[١] ، ومثل حديث صاحب البطاقة[٢]، والحديث الذي ورد في شأن ابن مسعود رضي الله عنه

---

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤٣)، ومسلم (٢٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٣٥).

وفيه قوله ﷺ لما ضحك بعض النَّاس من دقة ساقيه: (لهما أثقل في الميزان من جبل أحد)[١].

فأهل السنَّة يؤمنون بالميزان، وأنَّه ميزان حِسِّي حقيقي الله أعلم بكيفيته، ومن أهل البدع من ينكر حقيقة الميزان، ويقول: هو عبارة عن العدل، فليس هو ميزان حقيقي بل أمر معنوي.

والإيمان باليوم الآخر يقتضي الإيمان بأمور كثيرة جاءت بها النصوص كالحساب ونشر الصحف، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ١٨]، وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧﴾ [النبأ]، وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝١٠﴾ [التكوير]، وقال: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾ [الإسراء].

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٢٠)، (٣٩٩١) من حديث ابن مسعود ﷺ، وانظر السلسلة الصحيحة (٣١٩٢).

[خروج الموحدين من النار]

٣٠- وقـل يُخـرِجُ اللهُ العظـيمُ بفـضلِهِ ... مِنَ النَّارِ أجساداً مِنَ الفَحْـمِ تُطْـرَحُ

٣١- على النَّهْرِ في الفِرْدَوسِ تَحْيَا بمائِهِ ... كحِبَّـةِ حَمْـلِ الـسَّيْلِ إذ جَـاءَ يَطْفَـحُ

[الشرح]:

ذكر النَّاظم هنا مسألة أخرى تدخل في الإيمان بـاليوم الآخـر، وهـي خروج الموحدين من النَّار، قال ﷺ: (يُخـرج الله أقوامـاً مـن النَّـار بعـدما يصيرون حُـمَماً)[1] أي: فحماً. وقد تواترت السنَّة بذلك، ومن ذلك أنَّه ﷺ يشفع مرات عند ربه، في كل مرة يأتي ويسجد ويحمد ربه، فيقال له: ارفـع رأسك، وقل يُسْمَع، وسل تُعْطَ، واشفع تُشَفَّع. فيقول: أمتي أمتي. فيحد الله له حداً فيخرجهم من النَّار. فيرجع ويشفع أربع مـرات[2]. ويـأذن سبحانه وتعالى بالشفاعة للملائكة وللأنبيـاء وللمـؤمنين[3]، كـلٌّ بحـسبه، كـما يـشاء الله سبحانه.

---

(١) رواه البخاري (٦١٦٢)، ومسلم (١٨٣،١٨٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٦٩٧٥،٤٢٠٦)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري (٧٠٠١)، ومسلم (١٨٣=٣٠٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فيُخْرج الله بشفاعة الشافعين أقواماً من النَّار، وقال ﷺ: (يخرج من النَّار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال شعيرة من إيمان، مثقال برة من إيمان، أو مثقال ذرة)[1] فيخرج من النَّار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه أدنى أدنى أدنى مثقال حبة خردل من إيمان[2].

وكل هذا من دليل أهل السنَّة على خروج الموحدين من النَّار، وأنَّه لا يخلد في النَّار إلا أهل الشرك والكفر، أمَّا الموحدون فإنَّهم لا يخلدون، وإن كانوا من أهل الكبائر، فأهل الكبائر حكمهم في الدنيا أنَّهم ليسوا بكافرين، وليسوا مؤمنين مطلقاً، لكنهم مؤمنون إيماناً ناقصاً، فيقال للفاسق: إنَّه مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، أو مؤمن ناقص الإيمان، وأمَّا حكمهم في الآخرة فإنَّهم تحت مشيئة الله؛ إن شاء الله غفر لهم ولم يعذبهم، وإن شاء عذبهم، ثمَّ يُخرجهم من النَّار بشفاعة الشافعين ممن يأذن له؛ إذ لا أحد يشفع عنده إلا بإذنه[3]، أو يخرجهم بمحض رحمته دون شفاعة شافع، ومردُّ الفضل كله إليه ﷻ.

---

(١) رواه البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣=٣٢٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) رواه البخاري (٧٠٧٢)، ومسلم(١٩٣=٣٢٦) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) قال تعالى: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [طه: ١٠٩].

وأشار النَّاظم إلى ما جاء في الأحاديث، من أنَّه: (يخرج من النَّار أقوام قد صاروا حمماً، فيخرجون ضبائر - أي جماعات محترقين - فيبثون على أنهار الجنَّة، فينبتون كما تنبت الحِبة في حميل السيل)[١] مثل: حبات البذور البرية، تنبت النبتة في جانب الوادي عندما يقذف السيل بالغثاء على جانب الوادي، فينبت هؤلاء كما تنبت الحِبَّة في حميل السيل[٢]، فينبتون ويحيون ويدخلون الجنَّة برحمته سبحانه.

فهذا مما يثبته أهل السنَّة، ويجب الإيمان به، وهو خروج عصاة الموحدين من النَّار.

[مذهب الوعيدية في أهل الكبائر]:

وقد نازع في ذلك الوعيدية من الخوارج والمعتزلة:

فالخوارج مذهبهم في أهل الكبائر أنَّهم في الدنيا كفار، وإذا ماتوا مصرين على الكبائر فهم مخلدون في النَّار.

---

(١) رواه مسلم (١٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

(٢) والحِبَّةُ بالكسر واحدها حَبَّة، قيل: الحبة بزور البقول، وقيل حب الرياحين، وقيل نبت ينبت في الحشيش صغير وقيل الحبوب المختلفة من كل شيء وبه فسر هذا الحديث، انظر تاج العروس (١/ ٣٨٤).

وأمَّا المعتزلة فعندهم أصل: وهو المنزلة بين المنزلتين، فعندهم أنَّ صاحب الكبيرة في منزلة بين المنزلتين، لكنَّه إذا مات من غير توبة فهو مخلد في النَّار.

فاتَّفقت الطائفتان على حكمه في الآخرة دون حكم الدنيا.

وأهل السنَّة مذهبهم كما تقدم، قال الطَّحاوي رحمه الله: «وأهل الكبائر من أمَّة محمد ﷺ في النَّار لا يُخَلَّدُون إذا ماتوا وهم موحِّدون. وإن كانوا غير تائبين»[1]، فمن تاب توبة نصوحاً وهي التوبة المستوفية لجميع الشروط تاب الله عليه.

فهذه الشفاعة تنكرها الخوارج والمعتزلة[2]؛ لأنَّها تخالف ما أَصَّلوه.

قال الناظم:

على النهر في الفردوس تحيا بمائه　　　كحِبَّةِ حمل السيل إذ جاء يطفحُ

يُطرحون في نهر الحياة في الفردوس، كأنَّه جعل الفردوس اسماً للجنة عموماً، وكلمة الفردوس لم تَرِد في الأحاديث المصرحة بإخراج الموحدين من النار، والذي ثبت هو أنهم يطرحون في نهر بأفواه الجنَّة، يقال له نهر الحياة، فالتقييد بالفردوس فيه شيء من التسامح.

---

(١) شرح الطحاوية ص(٣٦٩).

(٢) السابق ص(٢٢٩).

[شفاعة النَّبي ﷺ]

٣٢- وإنَّ رسـولَ اللهِ للخَلْـقِ شَـافِعٌ   وقُـلْ في عـذابِ القـبرِ حـقٌ مُوَضَّـحُ

[الشرح]:

يشير النَّاظم في قوله: (**للخلق شـافعٌ**) إلى شـفاعة النَّبـي ﷺ الكـبرى العامَّـة، ويـدخل في عمـوم قـول النـاظم: (**للخلـق شـافع**) جميـع أنـواع الشفاعات الواردة المختصة بالنبي ﷺ، فهـو أول شـافع وأول مـشفَّع ﷺ وله عدة شفاعات، منها ما هو خاصٌّ به، ومنها ما يشركه فيه غـيره، وقـد قال ﷺ في الحديث الصحيح: (أُعطيـت خمـساً -وذكـر منهـا- وأُعطيـت الشفاعة)(١) وقوله: أُعطيت الشفاعة يمكن أن يتناول النـوعين: الـشفاعة الكبرى، وهي المقام المحمود، والشفاعة الأخرى المشتركة التـي لـه منهـا النصيب الأوفر.

(١) أخرجه البخاري (٣٢٨،٤٢٧)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

[الشفاعات الخاصة بالنبي ﷺ]:

فأما الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ:

[الشفاعة الكبرى]:

فأولاها الشفاعة الكبرى في أهل الموقف أن يفصل بينهم، وهي المقام المحمود الذي خصه الله به في قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء]، وهو المذكور في قوله ﷺ: (من قال حين يسمع النداء: اللهمَّ رب هذه الدعوة التَّامَّة، والصَّلاة القائمة، آتِ محمداً الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته؛ حلت له شفاعتي يوم القيامة)[1]، وهذه الشفاعة عامة، ولا تقتضي نجاة من النَّار.

[الشفاعة في أهل الجنة أن يدخلوها]:

والشفاعة الثانية: شفاعته ﷺ في أهل الجنَّة أن يدخلوا الجنَّة.

وهاتان الشفاعتان خاصتان به[2] ﷺ.

وأمَّا الشفاعة في خروج أهل التوحيد من النَّار فهي مشتركة لا تختص به، لكن له منها النصيب الأوفر، وقد قال ﷺ: (لكل نبي دعوة مستجابة،

(١) أخرجه البخاري (٥٨٩،٤٤٤٢) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

(٢) شرح الطحاوية ص(٢٢٩).

وإنَّه قد تعجل كل نبي دعوته في الدنيا، وإنِّي اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، وإنَّها نائلة -إن شاء الله- من مات لا يشرك بالله شيئاً)[١].

وقول الناظم: (**وقل في عذاب القبر حق موضح**)، أي: وقل إن عذاب القبر حق.

[مسائل في فتنة القبر]:

وقد تقدم القول فيه[٢]، فيجب الإيمان بفتنة القبر وعذاب القبر ونعيمه، ولأهل العلم في كتب العقائد الجامعة، وفي المؤلفات الخاصة عن أمور اليوم الآخر بحوث واسعة ومفصلة بأدلة مبسوطة كثيرة، ومن ذلك كتاب «الروح» لابن القيم، فإنه ذكر مسائل كثيرة تتعلق بفتنة القبر، وعذاب القبر، ونعيم القبر، مثل: هل عذاب القبر ينقطع؟ وقرر إمكان انقطاعه كشأن عذاب بعض العصاة، فقد لا تستوجب معصيته استمرار العذاب عليه، أمَّا عذاب الكافر في القبر فإنَّه لا ينقطع[٣]، وكل هذا من الإيمان بعذاب القبر. وقد بحث رحمه الله في هذا الكتاب مسائل كثيرة الإيمان بها من الإيمان بالغيب.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩٤٥)، ومسلم (١٩٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ص(١٣٢).

(٣) الروح ص(٨٩).

وأحوال القبور مستورة عن البشر مع قربهم منها، فلو فتح قبر بعد كذا وكذا لما ظهر شيء من نعيمه أو عذابه، ولهذا أنكره الزنادقة والذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، لأنَّهم لا يحسُّونه ولا يشاهدونه، وهذا يقتضي أن ينكروا كل ما أخبر الله به ورسوله من أمر الغيب، والإيمان المحمود الذي أثنى الله على أهله هو الإيمان بالغيب، قال الله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة].

أمَّا الأمور المشاهدة فليس في الإيمان بها مزيد فضل، ولذا لم يوجب الله على العباد أن يؤمنوا بوجود الشمس والجبال والبحار والسماء؛ لأنَّها أمور مشاهدة، وإنَّما أوجب عليهم أن يؤمنوا بما أخبر به في كتابه، وعلى لسان رسوله ﷺ من الغيوب، تصديقاً لخبره وخبر رسوله ﷺ.

[التكفير بالمعصية]

٣٣- ولا تُكفِرَنْ أهلَ الصَّلاةِ وإن عَصَوا   فكُلُّهـمُ يَعـصِي وذو العـرشِ يَـصفَحُ

[الشرح]:

يقول: لا تكفِّر العصاة ما داموا يصلون. وهذا الكلام يتضمن أمرين:

الأول: الرد على الخوارج الذين يُكَفِّرُون بالمعاصي، والعاصي عند أهل السنَّة والجماعة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، فهو مؤمن ناقص الإيمان، وقد تقدم مذهب أهل السنَّة والجماعة في عصاة الموحدين من أهل الكبائر[١].

والأمر الثاني: قول المؤلف بكفر تارك الصلاة، فالنَّاظم بهذه الإشارة يفهم من كلامه أنَّه يذهب إلى القول بكفر تارك الصلاة كسلاً، أما تاركها جحوداً فهو كافر باتِّفاق المسلمين؛ لأنَّه مكذب لله ورسوله.

وكل من جحد معلوماً من دين الإسلام بالضرورة، فهو كافر لتكذيبه، ولكن الشأن فيمن ترك الصلاة كسلاً، فللنَّاس فيه مذاهب[٢]:

---

(١) ص(١٣٩).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (٢٠/ ٩٧).

[حكم تارك الصلاة]:

فذهب بعضهم إلى أنَّ تارك الصلاة كافر؛ لما ورد في شأنه كحديث جابر رضي الله عنه: (بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة)[١]، وفي حديث بريدة رضي الله عنه: (العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر)[٢]، ولما ذكر الله تعالى من خطاب أهل الجنَّة لأهل النَّار: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المدثر]، وقوله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾﴾ [مريم]، قيل: (غيا): وادٍ في جهنَّم[٣].

وقال آخرون من أهل العلم: إن تارك الصلاة كسلاً لا يكفر وتأولُوا حديث جابر وحديث بريدة رضي الله عنهما على أنَّهما من جنس الأحاديث الأخرى التي فيها تسمية بعض الذنوب كفراً، كقوله ﷺ: (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر)[٤]، وقوله ﷺ: (أيُّما رجل قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها

---

(١) أخرجه مسلم (٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٢١)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٦٤).

(٣) جامع البيان (١٦/ ١٠٠).

(٤) أخرجه البخاري(٤٨)، ومسلم (٦٤) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

أحدهما)[١]، وقوله ﷺ: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)[٢].

فعند هؤلاء أنَّ من ترك الصلاة كسلاً وهو يؤمن بوجوبها ويعلم أنه مسيء عاصٍ، لكنه ترك الصلاة بسبب الكسل وضعف الإيمان فعندهم أنه لا يكفر.

وتوسط قوم فقالوا: إن كان يترك الصلاة دائماً، ولا يصلي أبداً، إلا مجاملة للناس نفاقاً لا إيماناً، فهو كافر، وأما من كان يغالب نفسه، يصلي ويترك، وهو مع نفسه في كفاح، فلا يكفر بترك ما ترك من الصلاة.

وهذا القول فيه توسط، وهو قوي عندي، والله أعلم بالصواب، ولشيخ الإسلام كلام يتضمن هذا المعنى[٣].

وقول الناظم: **(فكلهم يعصي وذو العرش يصفح)** أي: الناس كلهم يعصي، وذو العرش يصفح إذا شاء.

(وذو العرش) هو الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ [غافر: ١٥]، وقال: ﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ ۝١٥﴾ [البروج]. وقوله:

(١) أخرجه البخاري (٥٧٥٣)، ومسلم (٦٠) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥) من حديث جرير بن عبدالله رضي الله عنه.

(٣) مجموع الفتاوى (٢٢/ ٤٩) و(٢٤/ ٨٨).

(**يصفح**)، أي يعفو ويتجاوز إذا شاء كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس:١٠٧]، فهو سبحانه وتعالى عفو غفور.

[الجمع بين آية الزمر: (إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا)، وآية النساء: (إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ)]:

وأما قوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر]، فالمراد يغفر للتائبين، فمن تاب تاب الله عليه، والتوبة مقتضية لمغفرة جميع الذنوب.

وأما آية النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾ [النساء:١١٦]، فهي في حق غير التائبين.

ففي سورة الزمر عمَّ وأطلق، وفي سورة النِّساء خص وقيد، فخص الشرك بعدم الغفران، وقيد المغفرة بالمشيئة فيما دون الشرك، وبهذا يحصل الجمع بين الآيتين، فالله تعالى لا يغفر الشرك ويغفر ما دونه لمن شاء، ومن تاب تاب الله عليه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ

بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا

﴿١٧﴾ [النساء].

[عقيدة الخوارج]

٣٤- ولا تعتَقِـدْ رَأيَ الخَـوارِجِ إنَّـه مقـالٌ لمـن يَهْـواه يُـرْدِي ويَفْـضَحُ

[الشرح]:

الخوارج ظهر أولُهم في القرن الأول في عهد أميرِ المؤمنين علي رضي الله عنه فأكرمه الله بقتالهم، وقد أخبر النَّبي ﷺ عن خروجهم، وأنَّه تقاتلهم أولى الطائفتين بالحق، كما في الحديث الصحيح: (تَمْرُقُ مارِقَةٌ عند فُرقة من المسلمين، يقتلها أولى الطائفتين بالحق)[1] ، فقاتلهم علي رضي الله عنه بمن معه من الصحابة وغيرهم[1].

ورأي الخوارج: هو التكفير بالذنوب دون الشرك. فيكفرون بالكبائر، ويزيد البلاء إذا اعتقدوا ما ليس بذنب ذنباً، فحينئذ يكفرون من لم يذنب لاعتقادهم أنَّه مذنب، وأنَّ ذلك الذنب كفر. ومرتكب الكبيرة عندهم في الدنيا كافر خارج عن ملة الإسلام، حلال الدم والمال، وإذا مات من غير توبة فهو مخلد في النَّار مع الكافرين.

(١) أخرجه البخاري(٦٥٣٤)، ومسلم (١٠٦٤)، واللفظ له، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال أبو سعيد: «أشهد أن علياً قتلهم وأنا معه».

[من شبهاتهم]:

منها ذكر الأحاديث التي وردت في تسمية بعض الذنوب كفراً[1]، فأخذوها على أنَّه الكفر الأكبر، ومن شبهاتهم النصوص التي فيها نفي الإيمان عمن وقع في بعض الذنوب، مثل حديث: (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن)[2].

وعند أهل السنَّة والجماعة أنَّ الكفر الوارد في النصوص نوعان:

كفرٌ أكبر مناقض لأصل الإيمان.

وكفر دون الكفر، ويسمى الكفر العملي، ولكن التعبير عنه بأنه كفر دون الكفر، أو كفر أصغر أدق وأضبط.

والخوارج وأهل البدع عموماً، عندهم أهواء يتبعونها، ولهذا يُسمى أهل البدع أهل الأهواء، لأنَّهم متبعون للهوى لا للهدى، معجبون بآرائهم، لاجُّون في غيِّهم، وهذا ملاحظ في الذين يجنحون إلى التكفير بالذنوب، تجده مندفعاً مع رأيه، متبعاً لهواه، لا يرعوي ولا يصغي لحجة، ولا يكاد يرجع، وتأمل حال الخوارج وكيف كفَّروا علياً وأصحاب

---

(١) انظر ص(١٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٤٣)، ومسلم (٥٧) من حديث أبي هريرة ﷺ.

الجمل وأصحاب صفين، وكفروا جمهور المسلمين[١]، وسار على طـريقتهم وُرَّاثُهم، فلكل قوم وارث.

وهذا المذهب الخطير يجب الحذر منه، كما أنَّ ترك تكفير من كفَّـره الله ورسوله كذلك انحراف عن سواء السبيل والصراط المستقيم، فالواجـب على المسلم أن يكفر من كفره الله ورسوله، وألاَّ يُخرج من دين الله من ثبت له حكم الإسلام ولم يثبـت عليـه مـا يُوجـب رِدَّتَـه، فـلا بـد مـن العـدل والتوسط، ولا بد من الأناة، فالحذر الحذر من التـساهل والتـسرع، ومـن التجاوز والتقصير، ومن الإفراط والتفريط، والمذاهب الباطلـة كلهـا إمَّـا إفراط وإمَّا تفريط، لا تخرج عن هذين الحَيِّزين: إمَّا إفراط وغلو وتجـاوز، وإمَّا تفريط وتقصير وتهاون وتمييع.

(١) انظر الفرق بين الفرق ص(٣٠٧).

[عقيدة المرجئة]

٣٥- ولا تَـكُ مُرجِيَّـاً لَعُوبَـاً بِدِينِـه ألا إنَّـما المُرْجِـيُّ في الـدينِ يَمْـزَحُ

[الشرح]:

بعد ذِكر النَّاظم لاعتقاد أهل السنَّة والجماعة في الإيمان، وذكره لعقيدة الخوارج، شرع في ذكر من يقابلهم وهم المرجئة، فالمرجئة ضد الخوارج وعلى النقيض منهم، ولهذا أتبعهم النَّاظم بالخوارج.

فقال: (**ولا تكُ مرجياً**)، مُرجيّاً بالتشديد مراعاة للوزن، ويصلح أن تقول: مرجئاً، فباللفظين يحصل المقصود. وقوله: (**مرجيًّا**)، من أرجأ إذا أخر[1]، ويقال: مرجي ومرجئ بالهمز. ومنه قوله تعالى: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف:١١١]، أي: أَخِّرْه[2].

---

(١) انظر لسان العرب (١٤/ ٣٠٩).

(٢) وقد قرئ باللفظين في قوله تعالى: ﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ﴾ [الأعراف:١١١]، انظر النشر في القراءات العشر (١/ ٤٦١)، وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١]، انظر السبعة في القراءات لابن مجاهد ص(٢٨٨).

وقوله: (**لعوبا بدينه**)، لعوباً صيغة مبالغة من اللعب، لأنَّ الإرجاء يؤدي إلى التهاون بالدين.

ولهذا قال: (**ألا إنما المرجيُّ بالدين يمزح**) أي: يلعب. والمزح الدعابة والضحك والتسلية[1].

وبهذا يعرف أنَّ مذهب الخوارج على ما فيه من البدع والضلال، خير من مذهب المرجئة الغلاة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنب، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.

[من طوائف المرجئة]:

والمرجئة طوائف كثيرة[2]:

الطائفة الأولى: مرجئة الفقهاء، الذين يُخرجون الأعمال عن مسمَّى الإيمان، مع إيجابهم الواجبات، وتحريمهم المحرمات، فهؤلاء مرجئة الفقهاء مثل: أبي حنيفة، ومن قال بقوله.

الطائفة الثانية: مرجئة الجهمية، وقد تقدم أنَّ جهماً ينتحل ثلاث

---

(١) لسان العرب (١/ ٧٣٩).

(٢) انظر التبصير في الدين للإسفراييني (١/ ٩٧)، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص(١٤٦)، والفرق بين الفرق ص(١٩).

بدع شنعاء[1]: الجبر، والإرجاء، والتعطيل، وهو بالبدعة الأخيرة أشهرُ، فهو إمامها، الناشر لها.

[الكلام في مسمى الإيمان]:

وفرع عن كلامه في الإرجاء كلامه فيما يتعلق بمسمَّى الإيمان، **والنَّاس لهم في مسمَّى الإيمان مذاهب**[2]: فعند جهم أنَّ الإيمان هو المعرفة، فمعرفة الإنسان للخالق واعترافه بوجود الله، هو الإيمان عنده، ولا يضر مع الإيمان ذنب، وهذا من أعجب العجب! فهو يزعم أن المرء ولو تكلم بالكفر فإنه مؤمن، ما دام يعرف ربه بقلبه، ويزعم أنَّ من كفره الله من الأمم فتكفيره لهم دليل على أنَّهم غير مؤمنين في الباطن وغير عارفين لربهم[3]، ومقتضى هذا القول أنَّ سائر الأمم أعداء الرسل مؤمنون لأنَّهم عارفون بالخالق، وقد ذكر ابن القيم مذهب جهم هذا، وألزمه أن الأمم كلها مؤمنة على قوله فقال في الكافية الشافية[4]:

واسْأل ثمودَ وعادَ بَلْ سَلْ قبلهم ... أعداءَ نوحٍ أمَّةَ الطُوفَانِ

واسْأل أبا الجِنِّ اللَّعِينَ أتعرفُ الـ ... ـخَلاَّقَ أم أصبحتَ ذا نُكرانِ

---

(١) سبق ذكر ذلك ص(١٢٨).

(٢) انظر الإيمان لابن منده (١/ ٣٣١).

(٣) انظر الإيمان الكبير ضمن مجموع الفتاوى (٧/ ٣٦٤).

(٤) ص(٣٥).

واسْأل شِرَارَ الخلقِ أَعْنِي أمَّةً ... لُوْطِيَّةً هم ناكحو الذُّكْرَانِ
واسأل كذاك إِمَامَ كُلِّ مُعَطِّلٍ ... فِرْعَونَ مَعْ قَارُونَ مع هامانِ
هل كان فيهم مُنْكِرٌ للخالِقِ الرَّ ... بِ العظيمِ مُكوِّنِ الأكوانِ
فليُبْشِروا ما فيهمُ مِنْ كافرٍ ... هُمْ عِنْدَ جهمٍ كاملوا الإيمانِ!

فمذهب الإرجاء مقتضاه كفر، لأنه جحد بكل ما جاءت به الرسل من الوعيد على المعاصي، ومن الحكم بالكفر والردة على من ارتكب أسبابها، فالذي يعتقد مثل هذا يكون كافراً.

وأما الطائفة الثالثة من مذاهب المرجئة فمن يقول: إنَّ الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، فقوله قريبٌ من قول جهم، لكنَّه دونه، وهو مذهب الأشعري كما قال شيخ الإسلام رحمه الله[1]، وقولهم: إن الإيمان هو التصديق، معناه أنَّ الذنوب لا تضر إيمان المرء، فما دام الإنسان مصدقاً فهو المؤمن، وإن كان يستحق العقاب على ذنوبه، وعلى ترك الواجبات.

والفرق بينهم وبين مرجئة الفقهاء أن مرجئة الفقهاء يقولون: إنَّ الإيمان هو التصديق بالقلب، مع الإقرار باللسان، ثم يجعل بعضهم التصديق باللسان شرطاً، وبعضهم يجعله ركناً.

(١) انظر كتاب الإيمان الكبير ضمن مجموع الفتاوى (٧/ ١٤٥).

وأما الطائفة الرابعة من طوائف المرجئة فمن يقول: إنَّ الإيمان كلمة الشهادة؛ شهادة أن لا إله إلا الله فقط، وهذا هو مذهب الكرامية[١]، فعندهم أنَّ المنافق مؤمن، لكنَّه مخلد في النار، فهم كما قال شيخ الإسلام عنهم: «خالفوا الجماعة في الاسم دون الحكم»، يسمون المنافق مؤمناً، ولكنه في الآخرة مخلد في النَّار[٢].

وقد ناقش شيخ الإسلام هذه المذاهب في كتبه في مواضع كثيرة، منها كتاب «الإيمان» الكبير المعروف.

وهي ظاهرة الفساد والمناقضة لما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ومذهب الإرجاء على كل حال يؤدي إلى التلاعب بالدين، والتهاون بالواجبات والطاعات، والجرأة على المعاصي؛ ولهذا قال النَّاظم:

ولا تك مرجياً لعوباً بدينه ... ألا إنَّما المرجيُّ بالدين يمزحُ

وقوله (إنّما) إن مكفوفة بـ (ما) ليست ناصبة هنا[٣].

ومعنى قوله: (يمزح) أي يتلاعب.

---

(١) انظر كتاب الإيمان الأوسط ضمن مجموع الفتاوى (٧/ ٥٤٨).

(٢) انظر شرح التدمرية ص(٤٦٢).

(٣) انظر شرح ابن عقيل (١/ ٣٧٤) على قول صاحب الألفية:

ووصل (ما) بذي الحروف مبطلٌ ... إعمالها وقد يبقى العمل

[مما يتفق مع مذهب المرجئة قول من يقول: لا كفر إلاّ باعتقاد].

ومن المذاهب التي تتفق مع مذهب المرجئة، مذهب الـذين يقولـون: إنَّه لا كفر إلا باعتقاد، فلا يكفر الإنـسان بكـلام ولا بفعـل، فـإذا سـخر الإنسان من الرسـول وهـو يـؤمن بأنَّـه رسـول لا يكفـر! وإذا بـال عـلى المصحف عناداً وهو مؤمن بقلبه أنَّ ما امتهنه هو القـرآن كـلام الله تعـالى، ولكن سولت له نفسه أن يفعل هذه الفعلة -والعياذ بالله- لا يكفر!

فأي تهاون وتلاعب هذا، وبهذا يتبـين أن تعبـير النَّـاظم جـاء موفقـاً فالمرجئ يلعب بالدين، ويستخف به، ولا يستقيم عليه.

وبعد هذا البيت سيذكر النَّاظم تعريف الإيمان عند أهل السنَّة.

[مذهب أهل السنة والجماعة في الإيمان]

٣٦- وقُلْ إنَّما الإيمانُ قَولٌ ونِيَّةٌ وفِعْلٌ على قَولِ النَّبيِّ مُصَحَّحُ

٣٧- ويَنْقُصُ طَوراً بالمعاصي وتَارةً بطاعَتِه يَنْمِي وفي الوزنِ يَرْجَحُ

[الشرح]:

يبيِّن النَّاظم في البيت الأول مذهب أهل السنَّة والجماعة في الإيمان، وأنَّه قول ونية وفعل، وذكر في البيت الثاني أنَّه يزيد وينقص، وهذا هو قول أهل السنَّة والجماعة.

فالإيمان: اعتقاد بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان[١]، وكثير من الأئمة يقول: الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، أو يزيد وينقص[٢].

فقولهم: «الإيمان قول وعمل» تفسيره ما قاله شيخ الإسلام رحمه الله لما ذكر أنَّ من أصول أهل السنَّة أنَّ الإيمان قول وعمل، قال: « قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح»[٣]، وقول القلب هو الاعتقاد، وقول

---

(١) انظر الإيمان الأوسط ضمن مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٥).

(٢) أصول السنة ص(٣٤)، وشرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٧٦).

(٣) انظر الإيمان الكبير ضمن مجموع الفتاوى (٧/ ١٧١).

اللسان هو الإقرار، وعمل القلب هو الانقياد والاستجابة والقيام بـأعمال القلوب من خوف ورجاء وتوكل، وعمل الجوارح ظاهر معـروف، وهـو ما يكون باليد والـسمع والبـصر والأذن والرجـل وسـائر البـدن، فـصار الإيمان يشمل أربعة أمور:

أولاً: اعتقاد القلب الاعتقاد الذي يوجب عمل القلب.

ثانياً: عمل القلب، ويوجب الانقياد والالتزام والاتباع.

ثالثاً: قول اللسان، وهو الإقرار.

رابعاً: عمل الجوارح.

وقد قرر رسول الله ﷺ أن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجـسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب[1].

والمرجئة كلهـم يـشتركون في تـأخير الأعـمال عـن مـسمَّى الإيـمان، ويزعمون أن الأعمال لا تدخل في مسماه، ولهذا سُمُّو مرجئة.

وأهل السنَّة يقولون: الأعمال تدخل في مسمَّى الإيـمان، وأدلـة ذلـك كثيرة، ومن أظهرها وأصرحها وأصحها: قوله ﷺ: (الإيمان بضع وستون شعبة، فأعلاهـا قـول لا إلـه إلا الله، وأدناهـا إماطـة الأذى عـن الطريـق

---

(١) أخرجه البخاري(٥٢)، ومسلم(١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

والحياء شعبة من الإيمان)[1]، وعدَّدْ فيما بين ذلك الصلاةَ من الإيمان، والصيامَ من الإيمان، والحجَّ من الإيمان، والجهادَ من الإيمان، وبرَّ الوالدين من الإيمان، وصلةَ الأرحام من الإيمان، وإطعامَ الطعام وإفشاءَ السلام، كل ذلك من الإيمان، وإماطة الأذى عن الطريق ابتغاء وجه الله من الإيمان.

وقد عقد الإمام البخاري تراجم تتضمن هذا المعنى في كتاب الإيمان من الجامع الصحيح، فذكر: باب الصلاة من الإيمان[2]، باب الجهاد من الإيمان[3]، باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان[4] وغيرها.

ومن جملة أدلة أهل السنة كذلك قوله ﷺ: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[5].

---

(١) أخرجه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) الباب(٢٩) (١/ ٢٣)، وانظر صحيح البخاري (٥٣)، ومسلم (١٧).

(٣) الباب (٢٥) (١/ ٢١).

(٤) الباب (٢٧)، (١/ ٢٢).

(٥) أخرجه مسلم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

فجعل هذه المراتب كلها من الإيمان؛ فالتغيير باليد من الإيمان، وباللسان من الإيمان، والتغيير بالقلب -ويكون ببغض المنكر، والرغبة في إزالته- من الإيمان.

وقول الناظم الذي أثبت هنا: (**قول ونية وفعل على قول النبي مصبح**) وشرح السفَّاريني على (**مصرَّح**) وهو أوضح من مصبح؛ لأنه لا يظهر بـ(**مصبح**) معنى، والتفعيل يستقيم على هذا وهذا.

[زيادة الإيمان ونقصانه]:

ثم ذكر الناظم مسألة الزيادة والنقصان، ومن مذهب أهل السنَّة والجماعة: أنَّ الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[1]، وبعضهم يتحاشا أن يقول: ينقص، أو يقول: يزيد بالطاعة، يريد أنَّ الإيمان يتفاضل[2] ، ولا ريب أنَّ الإيمان يتفاضل من غير وجه، فالتصديق يتفاضل، ليس التصديق على مرتبة واحدة بل بعضه أقوى من بعض، وهذا يجده كل إنسان من نفسه. وكذلك عمل القلب: كالحب، والخوف، والرجاء، والتوكل، والعزم، يختلف فيقوى ويضعف. والزيادة والنقصان في أعمال الجوارح أظهر، فهي محسوسة مشاهدة للعيان، فالإيمان يزيد

---

(١) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٥١).

(٢) انظر السنة للخلال (٣/ ٥٦٩-٥٧٠).

وينقص، يزيد بالطاعة، فكلما أطاع العبد ربه ازداد إيماناً ظاهراً وباطناً، والمعصية تضعف وتنقص الإيمان.

ولهذا قال الناظم:

وينقص طوراً بالمعاصي وتارةً بطاعته ينمِي وفي الوزن يرجحُ

وعند المرجئة ومن جملتهم مرجئة الفقهاء أنَّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص، فهم يزعمون أن الإيمان هو التصديق، والتصديق واحد لايتجزأ؛ لأنَّ التصديق يقابله الشك، فمن نقص تصديقه حصل عنده الشك؛ وانبنى على قولهم هذا تحريم الاستثناء في الإيمان؛ لأنَّ الاستثناء شك[1].

وأمَّا عند أهل السنَّة القائلين بأنَّ الإيمان قول وعمل فعندهم أنَّه يجوز الاستثناء في الإيمان أو يجب، فلا تقل: أنا مؤمن إلا أن تقول: إن شاء الله؛ تبرءاً من الدعوى، فالاستثناء للبراءة من تزكية النفس، ومن دعوى الكمال.

[الأدلة على أن الإيمان يزيد وينقص]:

والأدلة على أنَّ الإيمان يزيد وينقص ظاهرة في القرآن والسنة فمنها قول الله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح:٤]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ

(١) التبصير في الدين ص(٩١)، والملل والنحل (١/ ١٤٠).

﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ١٧٣﴾ [آل عمران]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٢﴾ [الأنفال].

ومن السنة ما جاء في حديث الشفاعة وفيه: (أنَّ الله تعالى يخرج من النَّار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال ذرة من إيمان، ويخرج من النَّار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه أدنى أدنى أدنى خردلة من إيمان)[1]، فدل هذا على أنَّ في الإيمان تفاضلاً وتفاوتاً، زيادة ونقصاً.

وكذا قوله ﷺ: (أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً)[2].

وهذا التفاوت أمر معلوم بالضرورة.

وهل يقول عاقل: إن إيمان آحاد المؤمنين كإيمان أبي بكر وعمر؟! هذا لا يكون.

بل الإيمان يتفاوت في القلوب تفاوتاً عظيماً لا يعلمه إلاّ الله، مثل تفاوت الأنوار، من نور الشمعة فما دونها إلى ضوء الشمس، فأين هذا من هذا.

---

(١) سبق تخريجه ص(١٣٩).

(٢) أخرجه أبوداود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، من حديث أبي هريرة ﷺ وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

[التفريق بين مسمى الإسلام والإيمان]:

ومن المسائل المتعلقة بذلك التي يختلف أهل العلم فيها التفريق بين مسمَّى الإسلام والإيمان[١]:

١- فمنهم من يقول: إنَّ الإسلام والإيمان مؤداهما واحد.

٢- ومنهم من يقول: إنَّهما متغايران.

٣- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: إنَّهما يتحدان عند الإفراد، فإذا ذكر الإيمان وحده دخل فيه الإسلام، وإذا ذكر الإسلام وحده دخل فيه الإيمان، وأما إذا ذكرا معاً كان المراد بالإيمان اعتقاد القلب، وبالإسلام الأعمال الظاهرة[٢]، ويؤيد هذا حديث جبريل[٣]، فإن رسول الله ﷺ فسر الإسلام بالأركان الخمسة، وفسر الإيمان بالأصول الستة.

---

(١) السنة للخلال (٣/ ٦٠٢)، واعتقاد أئمة الحديث (٦٧)، والإيمان لابن منده (١/ ٣١١).

(٢) انظر كتاب الإيمان الأوسط ضمن مجموع الفتاوى (٧/ ٥٥١).

(٣) تقدم تخريجه ص(١٢٢).

[تقديم قول الله ﷻ ورسوله ﷺ على كل قول]

٣٨- ودعْ عَنْكَ آراءَ الرِّجَالِ وقولَهَمْ فَقَولُ رَسُولِ اللهِ أَزْكَى وأَشْرَحُ

[الشرح]:

يقول النَّاظم: (**ودعْ عنك**) أي: اترك (**آراء الرجال**) التي ليس لها سند من كتاب ولا سنَّة، وإنَّما هي ظنون وتخرصات، فدعها عنك، ولا تقلد آراء الرجال في دين الله، فكل رأي يخالف كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ يجب رده واطراحه ودفعه، فلا يقام له وزن في الاعتبار.

وكل رأى يتعارض مع حكم الله ورسوله فهو باطل، لكن أصحاب هذه الآراء منهم المتأول المجتهد المعذور، ومنهم المتبع لهواه وهذا هو المذموم، وقد روي عن عمر ﷺ قوله: «اتهموا الرأي على الدين»[1] يريد الرأي الذي يخالف الكتاب والسنة، وينعى على نفسه أنَّه كان يعارض رسول الله ﷺ في شروط صلح الحديبية، فرسول الله ﷺ يوافق على شرط المشركين لما قال: اكتب: «هذا ما صالَحَ عليه محمدٌ رسولُ الله»، قالوا: لا، لو نعلم أنَّك رسول الله لما قاتلناك، اكتب: «محمدَ بنَ عبد الله»، فقال رسول الله ﷺ: اكتب: «محمد بنَ عبد الله»، وهذا لا يغير من الواقع، فهو

(١) انظر مسند البزار (١٤٨)، والمعجم الكبير (٨٢)، وقد صح عن غير عمر ﷺ.

رسول الله وإن لم يكتب، فعمر ﷺ لما تبينت له فوائد الصلح تبين لـه خطـأ رأيه، وقال هذه المقولة يـأمر فيهـا كـل مـن أراد مخالفـة كـلام الله وكـلام رسوله ﷺ برأيه عند عدم فهمه أو لغير ذلك أن يتهم رأيه.

فقول الله تعالى وقول رسوله ﷺ يجب أن يقدم عـلى قـول كـل أحـد كائناً من كان، وقد تقدم[1] مضمون ومعنى هذا الكلام عنـد ذكـر الأئمـة وأنَّهم ﷺ أوصوا بهذا، وأمروا أتباعهم أن يطرحوا أقوالهم متـى عارضـت قول الرسول ﷺ، ويصور ابن القـيم خطـر التقليـد الأعمـى، والتعـصب لآراء المتبوعين والمعظَّمين في نظم النونية[2] فيقول:

والله مـا خَـوفِي الـذُّنُوبَ فإنَّهـا   لَعَـلَى طَرِيْـقِ العَفْـوِ والغُفْـرَانِ

لكِنَّما أخشى انْسِلاخَ القَلْبِ عَنْ   تحكِـيمِ هـذا الـوَحْيِ والقُـرآنِ

ورِضىً بآراءِ الرِّجَالِ وخَرْصِـها   لا كَـــانَ ذَاكَ بِمِنَّـــةِ الـــرحمنِ

فالمقلد المتعصب تجده يحكِّم قول متبوعه على النـصوص، ويعـارض النصوص بأقوال متبوعه، وهـذا يكـون في أصـحاب المـذاهب الفقهيـة، وكذلك في أصحاب النحل البدعية.

---

(١) ص(١١٧).

(٢) ص(٣٩٧).

فالنَّاظم رَحِمَهُ اللهُ قد أحسن في هذه الوصية حيث أمر بأن لا يُعـدَل عـن قول رسول الله ﷺ وسنته لقول فلان أو فُلَتَان، فقول رسول الله ﷺ أزكى؛ أي أكثر خيراً وبركة ونماء، لأنه القول المسدد المعـصوم مـن الإقـرار عـلى باطل، فرسول الله لا يقول إلا حقاً، أما غيره من النَّاس فيخطئ ويصيب، وتقدم[1] أنَّ أقوال النَّاس يُنْظَر فيها فما وافق منها الحق قُبِل، لا لأَنَّـه قالـه، وإنَّما لموافقته الحق، وما خالف الحق وجب رده، وما لم يتبين فيـه هـذا ولا ذاك يكون سائغ الاتباع لا واجب الاتباع.

---

(١) ص(١١٧).

[النهي عن الطعن في أهل السنة]

٣٩- ولا تَكُ مِنْ قَومٍ تَلَهَّوا بِدِيْنِهِمْ   فَتَطْعَنَ[1] في أهلِ الحديثِ وتقدحُ

[الشرح]:

قوله رحمه الله : (**ولا تك من قوم تلهوا بدينهم**) مراده أيُّها السنِّي الطالب للحق لا تكن ولا تتشبَّه بقوم اتخذوا دينهم لهواً ولعباً، كما أخبر الله عن الكفار فقال تعالى: ﴿وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِباً وَلَهْواً وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ [الأنعام: ٧٠]، واستغنوا بما انتحلوه من الآراء والمذاهب عن سنَّة رسول الله ﷺ وطعنوا في أهل السنَّة -أهل الحديث- المُعظِّمين لسنَّة رسول الله ﷺ. والفعل (**فتطعنَ**): منصوب بأن المضمرة وجوباً بعد فاء السببية.

وقوله: (**تَلَهَّو بدينهم**) أي لا يكن تَلَهِّيكَ بمذهبك ونِحْلَتِكَ وطريقتك سبباً في طعنك وقدحك في أهل الحديث، وفيمن خالفك، وهذا أيضاً موجودٌ عند المتعصبين من أهل المذاهب، يطعنون في أهل الحديث ويقدحون فيهم ويتنقصونهم، وموجود كذلك في أهل البدع،

---

(١) المتوجه النصب بفاء السببية، وعندها يختل الروي إلا بتقديرات فيها بُعد للضرورة، أو يكون في البيت إقواء فتنصب (تقدح)، والإقواء من عيوب القافية.

مثـل المعطلـة نفـاة الـصفات، فيطعنـون في أهـل الـسنَّة؛ أهـل الحـديث، ويعيبون تمسكهم بالنصوص، وتحكيمهم لها في إثبات مـا أثبتـه الله لنفـسه من الأسماء والصفات، وتنزيهه عن النقائص والعيـوب، قـال ابـن القـيم حول هذا المعنى في النونية(١):

يا مبغضاً أَهْلَ الحـديثِ وشَـاتِماً ... أَبْـشِرْ بِعَقْـدِ وَلايَـةِ الـشَّيْطانِ

فمن يبغض أهل الحديث ويشتمهم ويعاديهم كان ولاؤه للشيطان.

والواجب على المسلم أن يتمسك بكتاب الله كما قال النَّاظم في مطلـع هذه المنظومة:

تمـسَّك بِحَبْـل اللهِ واتَّبِـعِ الهُـدَى ... ولا تَـكُ بِـدْعِيًّا لعلـك تُفْلِـحُ

ودنْ بكِتَـابِ اللهِ والـسُّنَنِ التـي ... أَتَتْ عَنْ رَسولِ اللهِ تَنْجو وتَـرْبَحُ

---

(١) ص(٣٢٠).

[أهمية الاعتقاد الصحيح وفضله في الدارين]

٤٠- إذا ما اعْتَقَدتَ الدَّهْرَ يا صَاحِ هـذِه فأنْـتَ عـلى خَـيْرٍ تَبِيـتُ وتُـصْبِحُ

[الشرح]:

كأنَّ الناظم ختم المنظومة والقصيدة بنحو ما بدأها به:

فقال: (**إذا ما**) و(**ما**) هذه زائدة دائماً[1] تقع كثيراً بعد إذا، (**إذا ما اعتقدت الدهر**) أي: في الدهر وهو الزمان، والمعنى إذا ما اعتقدت في كل زمانك. وقوله: (**يا صاح**)، ترخيم في النداء وأصله يا صاحبي إذا ما اعتقدت في كل الزمان هذه العقيدة التي ذكرتها لك فيما مضى من النَّظم، وما تضمنته الأبيات من وصايا عامة ومفصلة، فالعامة في البيتين الأولين بالتمسُّك بكتاب الله وسنَّة رسوله والاعتصام بهما، والوصية بالحذر من البدع.

والوصايا المفصلة كالوصية بمذهب أهل السنَّة في كلام الله، وفي القرآن، والتحذير من قول الجهمية فيه، ومنهم الواقفة، والأمر باعتقاد ما دل عليه القرآن ودلت عليه السنَّة من رؤية العباد لربهم يوم القيامة، ومن الإيمان بأنَّ لله تعالى يدين، وأنَّه ينزل إلى السماء الدنيا، وهذه جملة مسائل

---

(١) ذكر ابن هشام في مغني اللبيب (١/ ٤١٣) أن «ما» تكون زائدة بعد أداة الشرط جازمة كانت أو غير جازمة.

من باب الأسماء والصفات، ذكرها على سبيل المثال وإلا فالوصية العامَّة تقتضي الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى].

كما مضى ذكر ما يجب اعتقاده من فضل الصحابة ﷺ وتفاضلهم وإنزال كُلٍّ منزلَتَه، والتنويه بذكر الخلفاء الراشدين وبقية العشرة وبأمهات المؤمنين إلى آخره.

وتقدم ذكر جملة من المسائل المتعلقة باليوم الآخر كالحوض والميزان وعذاب القبر ونعيمه وفتنة القبر.

كما تقدم ذكر الإيمان بالقدر ثم التنويه في الأبيات الأخيرة على عقيدة أهل السنة والجماعة في الإيمان خلافاً للخوارج والمرجئة والتحذير من مذهبي الخوارج والمرجئة، وبيان مذهب أهل السنَّة في الإيمان، وأنَّه قول وعمل ونية، وأنَّه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، ثم ختم بالتحذير من التعصب والتفريط وتحكيم الرجال وتقديم أقوالهم على سنَّة رسول الله ﷺ، وقرر أنَّ قول الرسول ﷺ هو الواجب التحكيم، فيجب تقديم قوله على قول كل أحد كائناً من كان.

[ختام النظم والشرح]:

وأخيراً ختم بهذا البيت للتنويه بحال وعاقبة من تمسَّك بمضمون هذه المنظومة:

إذا ما اعتقدت الدهرَ يا صاحِ هذه فأنت على خير تَبيت وتُصبحُ

أنت على الخير قائل بالاعتقاد الحق، تبيت وتصبح مؤمناً بالله ورسوله، مؤمناً بما أخبر الله به في كتابه، وبما أخبر به رسوله ﷺ.

نسأل الله لنا ولكم الثبات على دينه، وأن يعلمنا وإياكم ما ينفعنا وأن ينفعنا بما علمنا، وألا يجعل ما علمنا حجة علينا، وألا يجعل ما علمنا علينا وبالاً، ورحم الله الناظم على ما أبداه من الوصايا القيمة، وجزاه الله على ذلك خيراً كثيراً، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله.

[ثبت أهم المراجع]

١- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، المؤلف: أبوعبدالله عبيدالله بن محمد بن بطه العكبري، دار الراية-الرياض، ط الثانية، ١٤١٨هـ، تحقيق: د. عثمان عبدالله آدم الأثيوبي.

٢- اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، المؤلف: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط الأولى، ١٤٠٤هـ.

٣- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف: يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر النمري، دار الجيل- بيروت، ط الأولى، ١٤١٢هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي.

٤- الإصابة في تمييز الصحابة، المؤلف: أبوالفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الجيل- بيروت، ط الأولى، ١٤١٢هـ، تحقيق: علي محمد البجاوي.

٥- أصول السنة، المؤلف: أبوعبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، دار المنار- الخرج، السعودية، ط الأولى، ١٤١١هـ.

٦- اعتقاد أئمة الحديث، المؤلف: أبوبكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، دار العاصمة- الرياض، ط الأولى، ١٤١٢هـ، تحقيق: محمد بن عبدالرحمن الخميس.

٧- اعتقاد الإمام ابن حنبل، المؤلف: عبدالواحد بن عبدالعزيز بن الحارث التميمي، دار المعرفة - بيروت.

٨- أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمشتبهات، المؤلف: مرعي بن يوسف الكرمي المقدسي، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط الأولى، ١٤٠٦

٩- الإيمان، المؤلف: محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط الثانية، ١٤٠٦هـ، تحقيق: د. علي بن محمد ناصر الفقهي.

١٠- البدء والتاريخ، المطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية- بورسعيد.

١١- البرهان في علوم القرآن، المؤلف: محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، دار المعرفة - بيروت، (١٣٩١هـ)، تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم.

١٢- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، دار الهداية- بيروت، مجموعة من المحققين.

١٣- تاريخ الإسلام، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتاب العربي - بيروت، ط الأولى، ١٤٠٧هـ، تحقيق: دكتور عمر تدمري.

١٤- تاريخ الأمم والملوك، المؤلف: أبوجعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية - بيروت، ط الأولى، ١٤٠٧هـ.

١٥- تاريخ مدينة دمشق، المؤلف: أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عبدالله الشافعي، دار الفكر- بيروت، ١٩٩٥م، تحقيق: محي الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمري.

١٦- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الهالكين، المؤلف: طاهر ابن محمد الإسفراييني، عالم الكتب- بيروت، ط الأولى، ١٩٨٣م، تحقيق: كمال يوسف الحوت.

١٧- تبيين كذب المفتري، المؤلف: علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر، دار الكتاب العربي – بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٤هـ.

١٨- تذكرة الحفاظ، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، دار الكتب العلمية –بيروت، ط الأولى.

١٩- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار الفكر- بيروت، ١٤٠١هـ.

٢٠- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، المؤلف: أبوالحسين محمد ابن أحمد بن عبدالرحمن الملطي الشافعي، المكتبة الأزهرية للتراث- القاهرة، ط الثانية، ١٩٧٧م، تحقيق: محمد زاهد الكوثري.

٢١- تهذيب اللغة، المؤلف: أبومنصور محمد بن أحمد الأزهري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، عام (٢٠٠١)، ط الأولى، تحقيق: محمد عوض مرعب.

٢٢- توضيح مقاصد الواسطية لشيخ الإسلام، المؤلف: عبدالرحمن ابن ناصر البراك، دار التدمرية- الرياض،١٤٢٧هـ، إعداد: عبدالرحمن ابن صالح السديس.

٢٣- جامع بيان العلم وفضله، المؤلف: يوسف بن عبدالله بن محمد ابن عبدالبر النمري، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٣٩٨هـ.

٢٤- جامع البيان عن تأويل أي القرآن، المؤلف: أبوجعفر محمد بن يزيد الطبري، دار الفكر – بيروت، ١٤٠٥هـ.

٢٥- الجامع الصحيح، المؤلف: أبوعبدالله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، ط الثالثة ، ١٤٠٧هـ، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا.

٢٦- الجامع لأحكام القرآن، المؤلف: أبوعبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، دار الشعب – القاهرة.

٢٧- الجامع المختصر من السنن عن الرسول ﷺ ومعرفة الصحيح والمعلول وما عليه العمل ، المؤلف: أبوعيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين.

٢٨- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، المؤلف: أبوعبدالله محمد بن أبي بكر ابن أيوب الزرعي، دار الكتب العلمية –بيروت.

٢٩- ذم التأويل، المؤلف: أبومحمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، الدار السلفية – الكويت، ط الأولى، ١٤٠٦هـ، تحقيق: بدر بن عبدالله البدر.

٣٠- رؤية الله، المؤلف: علي بن عمر بن أحمد الدارقطني، مكتبة القرآن- القاهرة، تحقيق: إسماعيل مبروك.

٣١- الرفع والتكميل، المؤلف: أبوالحسنات محمد عبدالحي اللكنوي، مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب، ط الثالثة، عام ١٤٠٧هـ، تحقيق: عبدالفتاح أبوغدة.

٣٢- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، المؤلف: أبوعبدالله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، دار الكتب العلمية- بيروت، ١٣٩٥هـ.

٣٣- السبعة في القراءات، المؤلف: أبوبكر أحمد بن موسى بن العباس ابن مجاهد التميمي البغدادي، دار المعارف- القاهرة، ط الثانية، ١٤٠٠هـ، تحقيق : د. شوقي ضيف.

٣٤- السلسلة الصحيحة، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف – الرياض.

٣٥- السنة، المؤلف: أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخلال، دار الراية- الرياض، ط الأولى، ١٤١٠هـ، تحقيق: د. عطية الزهراني.

٣٦- السنة، المؤلف: عبدالله بن أحمد بن حنبل الشيباني ، دار بن القيم- الدمام، ط الأولى، ١٤٠٦هـ، تحقيق : محمد بن سعيد بن سالم القحطاني.

٣٧- سنن ابن ماجه، المؤلف: أبوعبدالله محمد بن يزيد القزويني، دار الفكر- بيروت تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.

٣٨- سنن أبي داود، المؤلف: أبوداود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، دار الفكر- بيروت، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.

٣٩- سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط التاسعة، ١٤١٣هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ومحمد نعيم العرقسوسي.

٤٠- سيرة ابن إسحاق، المؤلف: محمد بن إسحاق بن يسار، معهد الدراسات والأبحاث، تحقيق: محمد حميد الله.

٤١- شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، المؤلف: عبدالله بن عقيل العقيلي المصري، دار الفكر-سوريا ، ١٤٠٥هـ، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد.

٤٢- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، المؤلف: هبه الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، دار طيبة- الرياض، ١٤٠٢هـ، تحقيق: أحمد سعد حمدان.

٤٣- شرح العقيدة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، المؤلف: عبدالرحمن ابن ناصر البراك، إخراج وإعداد الدكتور سليمان الغصن، كنوز أشبيلية-الرياض، ط الأولى، ١٤٢٥هـ.

٤٤- شرح العقيدة الطحاوية، **المؤلف**: علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي، المكتب الإسلامي – بيروت، ط الرابعة، ١٣٩١هـ.

٤٥- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر الحكمة والتعليل، المؤلف: أبوعبدالله محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي، دار الفكر- بيروت، ١٣٠٩هـ، تحقيق: محمد بدر الدين أبوفراس.

٤٦- الصارم المسلول على شاتم الرسول ﷺ، المؤلف: أبو العباس أحمد ابن عبدالحليم بن تيمية الحراني، دار المعالي، ط الثانية، ١٤٢٨، تحقيق: محمد الحلواني، ومحمد شودري.

٤٧- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، المؤلف: أبوحاتم محمد بن حبان ابن أحمد البستي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط الثانية، ١٤١٤هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط.

٤٨- صحيح الجامع، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.

٤٩- صحيح سنن ابن ماجه، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض.

٥٠- صحيح سنن أبي داود، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض.

٥١- صحيح سنن الترمذي، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، مكتب التربية العربي لدول الخليج ـ الرياض.

٥٢- صحيح مسلم، المؤلف: أبوالحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي.

٥٣- صريح السنة، المؤلف: محمد بن جرير الطبري، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي- الكويت، ط الأولى، ١٤٠٥هـ، تحقيق: بدر يوسف المعتوق.

٥٤- طبقات الحنابلة، المؤلف: محمد بن أبي يعلى أبوالحسين، دار المعرفة- بيروت، تحقيق: محمد حامد الفقي.

٥٥- العقيدة رواية أبي بكر الخلال، المؤلف: أحمد بن حنبل الشيباني، دار قتيبة- دمشق، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، تحقيق: عبدالعزيز عزالدين السيروان.

٥٦- العقيدة السفارينية، المؤلف: أحمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني، مكتبة أضواء السلف – الرياض، ط الأولى، ١٩٩٣م، تحقيق: أشرف عبدالمقصود.

٥٧- العلو للعلي الغفَّار، المؤلف: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مكتبة أضواء السلف-الرياض، ط الأولى، ١٤١٦هـ، تحقيق: أشرف عبدالمقصود.

٥٨- الفتاوى الكبرى، المؤلف: أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، دار المعرفة-بيروت، ط الأولى، ١٣٨٦هـ، تحقيق: حسين محمد مخلوف.

٥٩- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبوالفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، تحقيق: محب الدين الخطيب.

٦٠- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، المؤلف: أبومنصور عبدالقاهر ابن طاهر البغدادي، دار الأفاق الجديد- بيروت، ط الثانية، ١٩٧٧م.

٦١- الفصل في الملل والأهواء والنحل، المؤلف: علي بن أحمد بن حزم الظاهري، مكتبة الخانجي- القاهرة.

٦٢- فقه اللغة وأسرار العربية، المؤلف: أبومنصور عبدالملك بن محمد ابن إسماعيل الثعالبي، المكتبة العصرية، ط الثانية، ١٤٢٠هـ، تحقيق: يس الأيوبي.

٦٣- فيض القدير، المؤلف: عبدالرؤوف المناوي، المكتبة التجارية الكبرى – مصر، ط الأولى.

٦٤- القاموس المحيط، المؤلف: محمد بن يعقوب الفيروزآباوي، مؤسسة الرسالة- بيروت.

٦٥- قرة العينين برفع اليدين في الصلاة، المؤلف: أبوعبدالله محمد ابن إسماعيل البخاري، دار الأرقم –الكويت، ط الأولى، ١٤٠٤هـ، تحقيق: أحمد الشريف.

٦٦- القصيدة النونية، المؤلف: أبوعبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، دار ابن خزيمة- الرياض، ط الأولى، ١٤١٦هـ.

٦٧- الكامل في ضعفاء الرجال، المؤلف: أبوأحمد عبدالله بن عدي الجرجاني، دار لفكر – بيروت، ط الثالثة ١٤٠٩هـ، تحقيق: يحيى مختار غزاوي.

٦٨- كتاب العين، المؤلف: أبوعبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، دار ومكتبة الهلال، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي.

٦٩- الكشاف، المؤلف: أبوالقاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، دار الكتب العلمية –بيروت، ط الأولى، ١٤١٥هـ.

٧٠- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، دار صادر– بيروت، ط الأولى.

٧١- لسان الميزان، المؤلف: أبوالفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت، ط الثالثة ١٤٠٦هـ، تحقيق: دائرة المعارف النظامية بالهند.

٧٢- اللمع في العربية، المؤلف: أبوالفتح عثمان بن جني الموصلي النحوي، دار الكتب الثقافية-الكويت، ١٩٧٢م، تحقيق: فائز فارس.

٧٣- لوائح الأنوار السنية ولواقح الأفكار السُّنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية، المؤلف: محمد بن أحمد بن سالم السفَّاريني، مكتبة الرشد- الرياض، ١٤١٥هـ، تحقيق: عبدالله محمد البصيري.

٧٤- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمة، جمع: عبدالرحمن بن محمد ابن قاسم وابنه محمد، دار النشر- مكتبة ابن تيمية ، ط الثانية.

٧٥- مسند الإمام أحمد، المؤلف: أبوعبدالله أحمد بن حنبل الشيباني، مؤسسة قرطبة-القاهرة.

٧٦- مسند البزار، المؤلف: أبوبكر أحمد بن عمرو بن عبدالخالق البزار، مؤسسة علوم القرآن- بيروت، ط الأولى، ١٤٠٩هـ، تحقيق: د.محفوظ الرحمن زين الله.

٧٧- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي المقرئ الفيومي، المكتبة العلمية- بيروت.

٧٨- معالم التنزيل، المؤلف: أبومحمد محي السنة الحسين بن مسعود الفراء البغوي، دار المعرفة – بيروت، تحقيق: خالد عبدالرحمن العك.

٧٩- المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني، مكتبة العلوم والحكم- الموصل، ط الثانية: ١٤٠٤هـ، تحقيق: حمدي ابن عبدالمجيد السلفي.

٨٠- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المؤلف: جمال الدين أبومحمد عبدالله بن يوسف بن هشام الأنصاري، دار الفكر- بيروت، تحقيق: د. مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله.

٨١- المفصل في صنعة الأعراب، المؤلف: أبوالقاسم محمود بن عمر الزمخشري، مكتبة الهلال – بيروت، ط الأولى، ١٩٩٣م)، تحقيق: علي بو مسلم.

٨٢- الملل والنحل، المؤلف: محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر الشهرستاني، دار المعرفة-بيروت، ١٤٠٤هـ، تحقيق: محمد سيد كيلاني.

٨٣- منهاج السنة النبوية، المؤلف: أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، مؤسسة قرطبة- القاهرة، ط الأولى، ١٤٠٦هـ، تحقيق: محمد رشاد سالم.

٨٤- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المؤلف: أبوزكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط الثانية، ١٣٩٢هـ.

٨٥- النبوات، المؤلف: أبوالعباس أحمد بن عبدالحليم بن تيمية الحراني، مطبعة السلفية- القاهرة، ١٣٨٦هـ.

٨٦- النشر في القراءات العشر، المؤلف: أبوالخير محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، أشرف على مراجعته علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية- بيروت.

٨٧- الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، دار إحياء التراث –بيروت، ١٤٢٠هـ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط ، وتركي مصطفي.

[الفهرس]